نمو الضمير

مراحل النمو الأخلاقي والإيماني

القس
أنطونيوس كمال حليم

نمـــو الضميـــر

مراحل النمو الأخلاقى والإيمانى

القس

أنطونيوس كمال حليم

اسم الكتاب : نمو الضمير
(مراحل النمو الأخلاقى والإيمانى)
اسم المؤلف : القمص / أنطونيوس كمال حليم
الطبعـــــة : الثانية أغسطس ١٩٩٦
اسم المطبعة : أرساتى جرافيك ٢٦ ش عبد الله صالح – شبرا
رقم الإيداع : ٩٦/٢٨٨٦

قداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

نيافة الحبر الجليل الأنبا صموئيل

أسقف شبين القناطر وتوابعها

﴿ مقدمة ﴾

التربية الخلقية أمر انشغل به جميع المربين ، وحثت عليه جميع الاديان فالتعليم مهما كان ساميا يظل أفكاراً مجرده ما لم يترجم الى سلوك يتحلى به الإنسان ، فالسلوك اذا هو الثمرة المرجوة من العملية التربوية بجملتها .

فإذا دققنا النظر نجد أن التربية الأخلاقية تبدأ مع السنوات الأولى للطفل ، فعندما تعلم الأم طفلها كيف يأكل دون أن يسقط الطعام على ملابسه ، أو حينما تعلمه أن يقول (شكراً) ، فهى تلقنه دروساً في التربية الأخلاقية . وهذا بالطبع يساعد على ترقية الطفل ، وتعليمه النظام الذى سوف يساعده على ممارسة الحياة الروحية وضبط النفس .

وفى الأديرة نلمح نوعاً من القوانين التى تعد دروساً أخلاقية، تحمى الحياة الروحية الداخلية من الانحلال، فنرى فى طرقات الدير لافتة مكتوباً عليها (مشى هين وصوت لين) . فالهدوء الخارجي يصحبه ضبط للفكر وعمق باطنى فى التأمل والصلاة . وحينما يوصى الراهب ألا يدخل قلاية أخيه دون إستئذان، وإذا دخل فلا يتفرس فيها ، ولا يرفع نظره من على الأرض ، فهذه أيضاً دروس أخلاقية ، وهذه الدروس تقود الى الروحيات وتدعمها .

فالتربية الأخلاقية والنمو الروحى اذاً مجالان متداخلان ، وإن كان بينهما بعض التمايز والإنفصال .

ولكى نقييم دروسنا ووسائلنا التربوية ، من ناحية كفائتها فى التهذيب الأخلاقى ، نقدم لك - عزيزى القارئ - هذا الكتاب الذى يحوى بحثين هامين من الأبحاث الادبية :

البحث الاول .. هو خلاصة الدراسة التى قضى فيها العالم (لورانس كولبرج)حياته العلمية كلها ، ووضع نظرية هامة تتلخص فى ستة مراحل أو درجات للرقى الأخلاقى ، وتعتبر هذه النظرية موضع قبول وتطبيق لغالبية العلماء المعاصرين ، بالإضافة إلى اتفاقها مع الكتاب المقدس والمشاهدة العملية .

اما البحث الثانى فهو محاولة جادة لعمل سلم للرقى الإيمانى ، قام بها العالم اللاهوتى المعاصر (جيمس فاولر) بناء على أبحاثه الميدانية ، وهى نظرية جديرة بالإهتمام رغم بعض الصعوبة التى وضعت بها مصطلحاتها وخلوها من التطبيقات العملية .

وبالإضافة إلى البحثين المذكورين عَرَض هذا الكتاب لأراء وتعليقات ودراسات العديد من المفكرين والعلماء واللاهوتيين فى موضوعى التربية الخلقية والإيمانية .

ومن المفيد جعل هذا الكتاب موضوع حلقة بحث أو دورة تدريبية أو سلسلة دراسية فى إجتماع الخدام أو إعداد الخدام أو لجنة الأسرة ، تعرض فيها الآراء والنظريات مع التساؤلات والآراء المعارضة ، ويصل بعدها الدارسون إلى التطبيقات اللازمة للحياة العملية ، سيراً نحو تربيةأخلاقية ايمانية متطورة .

ولما كان النمو الروحى أو الإيمانى هو جوهرة التاج فى مجال النمو المتكامل للشخصية ، فإن هذا الكتاب يعالج أهم نواحى النمو الذى نسعى إليها جميعاً فى خدمتنا ، حتى نكوّن جيلاً نامياً ، نفسياً واجتماعياً وأخلاقياً وروحياً ..

وفقنا الله بمعونته ونعمته نحو هذا الهدف الجليل .

المحتويات

الصفحة

مقدمة ٨

الباب الأول

النمو الأخلاقى عند الإنسان ١١

الفصل الأول:

إنموا فى النعمة

مراحل النمو الأخلاقى عند الانسان ١٣

الفصل الثانى:

كيف ندرس الأخلاقيات ؟

تطبيقات عملية على التربية المسيحية ٥٣

دورات تدريبية للخدام على التربية الأخلاقية ٨٩

الباب الثانى

النمو الإيمانى عند الإنسان ١٠٢

الفصل الثالث

ملء قامة المسيح

مراحل النمو الإيمانى للإنسان ١٠٣

الفصل الرابع

ويدوم ثمركم

تطبيقات عملية على النمو الإيمانى ١٣١

صلاة

الباب الأول

النمو الأخلاقى
عند الإنسان

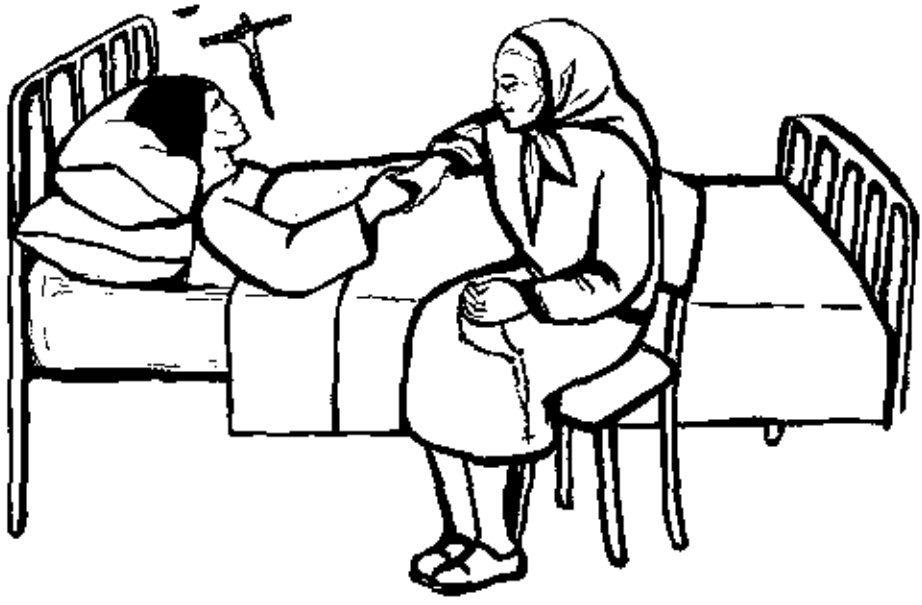

الفصل الأول

إنمـوا فى النعمـة

مراحل النمو الأخلاقى عند الإنسان

الفضيلة جهاد ونمو ، وتربية غرس للفضائل ، واحدة فواحدة ..

والفضائل درجات تعلو بعضها بعضاً . فإذا عرفنا كيف يتقدم الإنسان فى الفضيلة ، نستطيع أن نساعده فى عملية النمو التدريجى نحو الكمال .

هذا الفصل يناقش :

صورة شخصية

ماركوس اوريليوس

فكر معنا

* أخلاق اللذة والسعادة والواجب .
- درجات الفضائل فى الكتاب المقدس.
- التحرر من الأهواء فى النسك الرهبانى.
* أبحاث كولبرج فى علم الأخلاق .
* مراحل الأخلاق بحسب كولبرج .
* تصنيف المترددين على الكنيسة ، بحسب مراحل كولبرج الستة .
* ما هى علاقة الدين بالأخلاق .
* نقد نظرية كولبرج.

خلاصة

أسئلة للمراجعة .

صورة شخصية

ماركوس أوريليوس

إن عالمنا مليء بالفضلاء والمثاليين بل والقديسين المختفين ، ومن بين هؤلاء الفضلاء الأحرار سقراط و غاندى ومارتن لوثر كينج محرر الزنوج .كذلك كان هناك ماركوس أوريليوس .

كان ماركوس أوريليوس فيلسوفاً وإمبراطوراً رومانياً (١٦١ - ٨٠ ق.م) ، ورغم وجوده فى مركز القوة .. كان يكره القتل والحرب عامة ، وكان يذهب لها مضطراً ، لأنها الوسيلة الوحيدة لصد هجمات البرابرة ، وإرساء حقوق المواطنين الرومان فى حياة آمنة .

ولكنه بدأ يعانى من كونه محاطاً برجال ونساء لا يفهمونه ولا يقدرون مبادءه ، حتى حدث أن خانه أقرب المقربين إليه . وإذ بماركوس يجد نفسه مدفوعاً لا لمسامحة خائنيه فقط ، بل لحبهم أيضاً . ومثل كل الرومانيين لم يكن ماركوس أوريليوس يفصل فى فلسفته بين الله والطبيعة فكان يسمى المبدأ الأعلى للأشياء أحياناً الله وأحياناً أخرى الطبيعة ومن أقواله :

« إن قوة الفكر وإمكانية الفهم ظاهرة عامة يتمتع بها البشر ، ويتبع ذلك أن هذا العقل يتحدث إلينا بطريقة دائمة قائلاً (يجب عليك) Thou Shalt (فكره تشبه الإلهام فى الوحى

الكتابى) فهناك إذن قانون كونى World Law، نحن جميعاً مواطنون أشقاء ، والعالم كله مدينة واحدة ، فلا يدعى إنسان أنه ينتسب إلى مدينة أخرى ،

وعن مكان الفرد وسط الكون يقول :

« لا تستطيع الحياة الخلقية أن تعطيك شيئاً أفضل من العدالة والحق ، التى هى سلام العقل حين تتفق أعمالك مع قانون المنطق الذى تفكر به . وأنت لا تستطيع أن توجه حياتك ، فحتى المصادفات لها مكانها فى نظام الطبيعة العام ، وأنت نفسك جزء من هذا العالم ، فتذكر دائماً ما هى طبيعة الكون ، وأن وجودك الطبيعى ليس إلا جزءاً من كلٍ متسع ، وحينئذ سوف تدرك أنه لن يوجد من يعطلك عن جعل كل كلمة أو عمل تقوم به يتفق مع تلك الطبيعة التى أنت جزء منها » .

ويتضح من الإقتباسات السابقة التى أوردناها من كتابات ماركوس أوريليوس، كيف أن الإنسان الطبيعى بحكمه وازع خلقى ينزع نحو الإتفاق مع نظام كونى عام ، وأن العقل هو القوة التى تجعل الإنسان فى إنسجام مع قوانين الطبيعة التى وضعها الله .

فكر معنا ..

١ ـ إدرس موضوع الضمير في قصة آدم وحواء ، قايين وهابيل .

٢ ـ تأمل الناس حولك دون أن تحاول أن تدينهم أو تحكم عليهم ، ولكن حاول فقط أن تقيم الأساس الأخلاقي الذي يحركهم (عين بعين وسن بسن) ، (أحبوا أعداءكم) الخ .

٣ ـ إجمع الآيات التي تتفق مع هذه الآية (إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين فلن تدخلوا ملكوت السموات) ، مت ٥ : ٢٠ ،

٤ ـ ناقش من خلال دراسة منهجية في ، مت ٢٣ ، انفصال الدين عن السلوك العملي في مختلف جوانب الحياة عند الفريسيين ، وعندنا نحن .

٥ ـ طبق مثل الزارع ، مت ١٣ : ٣ـ٢٣، على سلوك المتدينين ورواد الكنيسة :

ـ الطريق.

ـ الأرض الصخرية.

ـ الأشواك.

ـ الأرض الجيدة (ثلاثين وستين ومائة).

ـ شخص غير مكترث.

ـ شخص يحاول ويغلب من اخطائه.

ـ شخص أخلاقي ولكن له صحبة فاسدة.

ـ شخص يسلك سلوكاً أخلاقياً بسبب الخوف.

ـ شخص يسلك بأمانة طمعاً في بركات أرضية.

ـ شخص يفعل الخير للخير ذاته.

لعل أهم ما يميز الإنسان عن الحيوان هو شعوره بالإلتزام الأدبى والأخلاقى، أمام الله وأمام ضميره وأمام الآخرين ، ونلاحظ كيف انشغل الناس منذ نشأة الخليقة بمحاولة تقييم السلوك ومراجعاته . ونستطيع أن نسمى هذه المحاولات بعلم الأخلاق .

وعلم الأخلاق علم معيارى يهتم بدراسة السلوك والحكم عليه بناء على قيم عامة ثابتة .

ولا يخفى على القارئ كيف كان الإهتمام بتوجيه السلوك هو الشغل الشاغل للفلاسفة والمربيين والأنبياء ورجال الدين حتى يومنا هذا ، ولا شك أيضاً أنه محل أهتمام الوالدين وخدام التربية الكنسية واللاهوتيين .

و الإنسان ينمو خلقياً كلما نما فى العمر ، فالطفل الذى يتشاجر مع أخيه من أجل لعبة ، يتعلم تدريجياً كيف يشارك، ثم كيف يعطى، وحين يصبح بالغاً تصبح الفضيلة واضحة ، وتكتمل مراحلها عند بلوغه سناً أكبر .

وفى الكهولة تكتمل مراحل النمو فى الفضيلة حتى تصل إلى الحكمة فى السلوك.

وسوف ندرس الآن بالتفصيل فى هذا الفصل مراحل النمو الأخلاقى، وعلاقة الأخلاق بالتدين من وجهة نظر علم الأخلاق والكتاب المقدس .

وسنحاول أولاً أن نقدم للقارئ مقدمة تاريخية سريعة ، وإن كانت غير وافية ، لمحاولات دراسة الأخلاق عند فلاسفة اليونان وعند (كَانت) الفيلسوف الألمانى ، وفى الكتاب المقدس .

ثم نعرض لأبحاث عالم معاصر هو « لورانس كولبرج » ، الذى قضى ما يزيد عن عشرين عاماً ولا يزال ، فى دراسة سلوك عينات مختلفة من البشر ، وخلص بنظرية تعتبر تقسيماً لمراحل النمو الأخلاقى عند الإنسان ، ونجد نظريته قبولاً واسعاً فى الأوساط الدينية والسيكولوجية لدقتها واستنادها على التجارب الميدانية .

وقد أفادتنى دراسة هذه النظرية بصفة شخصية فى فهم دوافع السلوك وكيفية التعامل مع الآخرين .

ونتطرق بعد ذلك للتطبيقات التربوية وخاصة فى مجال التربية الكنسية للإفادة من هذه الدراسات .

نظرة تاريخية لعلم الأخلاق

الإنسان كائن أخلاقي لديه الدوافع النبيلة والقيم التي لا يصنعها المجتمع أو يفرضها الدين فقط ، بل يرجحها عقله وضميره وحسه الداخلي كذلك ، وقد حاول المفكرون والأنبياء صياغة هذه القوانين الأخلاقية بطرق مختلفة فتكلموا عن مبدأ اللذة والألم ، ومبدأ السعادة والواجب ، كما حاولوا شرح الضمير والقيم والالتزام الأدبي ، وفيما يلي عرض لبعض هذه الآراء :

أخلاق اللذة والسعادة والواجب

١ » أخلاق اللذة عند فلاسفة اليونان الأوائل :

لاحظ فلاسفة اليونان الأوائل كيف أن الفعل الضار ينشئ ألماً ، وأن الفعل الطيب ينشئ سعادة ومتعة ، فنادى بعض الفلاسفة مثل أبيقور وآرستبس بأن السعي وراء اللذة وتجنب الألم هو مقياس السلوك السليم ، وقادهم هذا الفكر إلى عدم التفكير في المستقبل لأن التفكير في المستقبل هو مبعث الشقاء والهموم ، ولأنهم يريدون إقتناص اللذات الحاضرة لأنها الهدف الأوحد للحياة . والواضح أن تعريفات هؤلاء الفلاسفة كانت تنصب على اللذات الحسية ، ولقد إرتبطت اللذة عند هؤلاء الفلاسفة بالقيم البيولوجية ، إذ رأوا في اللذة مظهراً من مظاهر الصحة النفسية ، على أساس أن النفس العاجزة عن الإستمتاع باللذات، هي نفس معتلة أو مريضة .

٢ » أخلاق السعادة عند أرسطو :

أما أرسطو فقد نادى بمبدأ السعادة ، وهو يرى أن الكثيرين ينشدون اللذة أو المجد أو الشهرة أو الثروة ، أو ما عدا ذلك من خيرات، ولكن هذه كلها ليست سوى خيرات جزئية لا تحقق سعادة الإنسان من حيث هو موجود ناطق ، ومن ثم فإن أرسطو لا يرى فيها سوى سعادة ناقصة لا تشبع لدى الإنسان سوى قواه الحاسة فقط .

والحق ان هناك فضائل دنيا وفضيلة عليا . فضائل دنيا ترتبط باللذة والنجاح الخارجي ، وفضيلة عليا هي تلك القوة الخلقية التي تحذونا إلى التأمل أو النظر العقلي المجرد دون أدنى غاية نفعية، تخرج بنا عن دائرة (النظر الخاص) ، ومعنى هذا أنه إذا كان للفضائل الدنيا طابع نفعي مغرض، فإن للفضيلة النظرية العليا طابعاً نزيهاً مجرداً من كل غرض .

ولهذا يربط أرسطو السعادة بالحكمة ، مؤكداً في الوقت نفسه أن (الحكمة) هي أسمى الفضائل : لأنها تعبر عن فعل نزيه حر يقوم به العقل ، دون أن يرمي من ورائه إلى أية مصلحة عملية أو أية فائدة نفعية . وإذا

كانت اللذة زائلة والأمجاد عابرة ، والثروة مهددة بالضياع والشهرة متوقفة على الآخرين، فإن « الحكمة » هي وحدها الفضيلة الباقية الكاملة التي ترقى بالموجود البشري إلى مستوى الألوهية .

ويتضح هنا أنه كما اتجه الأبيقوريون إلى تمجيد اللذة الحسية، اتجه أرسطو إلى تنزيه العقل المفكر ، وإمتداح الحكمة والتأمل ، إلى حد أعتبارها الغاية العظمى ، وكأن الإنسان عقل فقط، أو أن السمو عبارة عن تجاوز للجسد واللذات . والواقع أننا من الممكن أن نصنع الخير بعقولنا وأيدينا بل وكل جزء من كياننا ، ولكن هذا الفصل بين الجسد والروح والعقل والمادة هو مما يميز الفكر اليوناني القديم .

٣ » أخلاق الواجب عند كانت (Kant) :

جاءت النظريات السابقة (اللذة والسعادة) لتحكم على الفعل الأخلاقي بالإستناد إلى آثاره ونتائجه ، وجموعها قد أغفلت عنصر الإلزام أو التكليف أو الواجب . وكأن الأخلاق مجرد بحث عن اللذة والمنفعة، أو الحكمة والمتعة الفكرية فقط .. في حين أن الحياة الأخلاقية صراع وإلزام أدبي، تدخل فيه الإرادة كما يدخل الجسد والعقل .

إن الشعور بالواجب يكمن في وعي ولاوعي الإنسان دون غيره من الكائنات ، فليس للحيوانات هذا الشعور . ففي الإنسان يكمن إحساس فطري بالإلتزام الأدبي والمسئولية الأخلاقية . هذا الشعور يتميز عن الرغبة في السرور واللذة في ناحية هامة ، فالواجب يلزمنا بإتباعه بغض النظر عما ينجم من إتباع هذا الفعل سواء كان سروراً أو ألماً ، ولو أن إتباع الواجب يأتي لنا في النهاية بالسرور المقيم، إلا أننا نقوم بعمل الفعل الأخلاقي حتى لو تألمنا في سبيله .

ويوضح الفيلسوف الألماني « كانت » كيف أن الإنسان مفطور على بواعث الشعور بالواجب بطريقة لا يجد منها فكاكاً ، بل أنها تعتبر دليل آدميته وخيريته بطريقة تدعو إلى العجب ، فيقول :

« إني أمتلئ خشوعاً كلما رأيت السماء المملؤة بالنجوم فوقي ، والقانون الأخلاقي داخلي » .

مستويات السلوك عند آدم وموسي والمسيح :

معروف أن نمو الفرد يعيد تاريخ نمو البشرية جمعاء ، فيمر الطفل بنفس المراحل التي مر بها آدم حتى يدرك الناموس الخلقي، وهي المرحلة التي علم بها موسى، لعله يصل إلى ملء قامة المسيح .

فآدم يمثل الذاتية وحب الأخذ ، وعدم إحترام القوانين ، والتنصل من المسئوليات .. أما **موسي** فقد رفع الشعب إلى مستويات

الحـرام والحـلال ، والطاهر والنجس ، وحب لأخيك (العبراني) ما تحبه لنفسك .

لكن المسيح نادى بمحبـة الأعـداء ، والعطاء المطلق ، حتى فى حالة الإحتياج ، والغفران للخاطئ بقصد إصلاحه . وكانت هذه بلا شك ثورة روحـيـة نستطيع أن نسميها (أخلاق المعجزة) ، فهى أخلاق (أرستقراطية) ليست لكل الناس ، بل للذين ولدوا من الروح ، واتحدوا بالمسيح، وولدوا ليس من جسد (آدم) ، أو من مشيئة رجل (ناموس موسى) ، بل من الله ولدوا .

درجات الأخلاق فى المسيحية

حتى داخل المسيحية توجد درجات (ثلاثون وستون ومائة)من الأخلاقيات . فلم يغفل المسيح مبدأ التدرج الأخلاقى ، فقد نادى بمحبة الأعداء ، ولكنه فى الوقت نفسه قال (مت ١٨ :١٥ ـ ١٧) :

- إن أخطأ إليك أخوك فإذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما ،

- فإن سمع منك فقد ربحت أخاك ،

وإن لم يستمع ، فخذ معك أيضاً واحداً أو إثنين لكى تقوم كل كلمة على فم شاهدين أو ثلاثة .

- وإن لم يسمع منهم فقل للكنيسة .

- وإن لم يسمع للكنيسة فليكن عندك كالوثنى أو العشار .

فقبل التسامح المطلق هناك درجات للمبتدئين ، هى العتاب ، ثم الشكوى للكنيسة ، ثم تجنب الاشرار .

ونود أن نستطرد قليلاً قبل أن ندرك هذه النقطة ، فنبدى بعض ملاحظات عامة على التعاليم الأخلاقية للسيد المسيح كنموذج أعلى فى السلوك ، بقدر ما تسمح المساحة المتاحة فى هذه المقدمة التاريخية .

التعاليم الأخلاقية عند الرب يسوع

جاء المسيح مجسداً حب الله للبشرية ، فكانت حياته وموته وقيامته رسالة حب الله للناس ، ولم يأت المسيح بمجموعة نواهى وأوامر أو وصايا توضع تحت بعضها البعض فى لوحى العهد الجديد ، ولكنه أعطى بعض المبادىء التى تحكم الأخلاقيات بصفة عامة . ونستطيع أن نصف التعاليم الأخلاقية عند السيد المسيح بأنها :

١ ـ أخلاق المبادئ : وليست أخلاق الوصايا أو قائمة النواهى والأوامر ، وبخلاف الموعظة على الجبل نجد أن السيد المسيح كان يجيب على تساؤلات السائلين بردود تحوى التعاليم الخلقية بطريقة غير منهجية ، لأن عنده كان السلوك مرتبطاً بالحياة اليومية وبفكرة مجىء الملكوت على الأرض ، حيث يملك الله على

القلوب ، فيسلك المؤمن بإتضاع الروح والتسامح والمحبة غير المشروطة ، ومتى عاش فى هذه المبادئ إستطاع أن يعرف السلوك السليم .

2 ـ أخلاق الدوافع : وليس أخلاق السلوك، فالسيد المسيح يضع دائماً النية فى الإعتبار عند فحص الأفعال .

3 ـ أخلاق الداخل : فالممارسات الخارجية والمظهر الدينى التقوى ليس له قيمة أمام الله إن كان القلب من الداخل ملئ بالسوء .

4 ـ أخلاق البنين : فالأخلاق عند السيد المسيح تنبع من علاقة جديدة بين الله والناس، هى علاقة البنين ، مبنية على حقيقة اقتراب ملكوت الله فى القلب .

سلم الفضائل عند بولس الرسول

أوضح بولس الرسول أن هناك درجات للفضائل تعلو بعضها البعض ، وهكذا قدم لمخدوميه أحياناً لبناً وأحياناً أخرى طعاماً ، حتى يرتقى بهم تدريجياً ، ونظراً لأهمية هذا النص فإننا نقتبسه كاملاً موضحين مستويات السلوك الأربعة المختلفه التى يطالبنا بها الرسول (كو : ٥ ـ ١٥) :

المستوى الأول .. الإبتعاد عن الخطايا الكبرى :

" أميتوا أعضائكم التى على الأرض : الزنا النجاسة الهوى الشهوة الرديئة الطمع الذى هو عبادة الأوثان ، الأمور التى من أجلها يأتى غضب الله على أبناء المعصية . "

المستوى الثانى .. الإبتعاد عن الخطايا الصغرى :

" أما الآن فاطرحوا عنكم أنتم أيضاً الكل، الغضب السخط الخبث التجديف الكلام القبيح من أفواهكم . لا تكذبوا بعضكم على بعض ، إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله ، ولبستم الجديد الذى يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه . "

المستوى الثالث .. إكتساب الفضائل :

" فإلبسوا كمختارى الله القديسين المحبوبين أحشاء رأفات ولطفاً وتواضعاً ووداعة وطول أناه ، محتملين بعضكم بعضاً ، ومسامحين بعضكم بعضاً، إن كان لأحد على أحد شكوى ، كما غفر المسيح هكذا أنتم أيضاً

المستوى الرابع .. المحبة التى هى أساس وصنيع الفضيلة ومقياسها :

- « وعلى جميع هذه البسوا المحبة التى هى رباط الكمال . »

ملاحظات عامة على مصادر الأخلاق بحسب بولس الرسول :

مرة أخرى تستطرد قليلاً لتوضح الخطوط العريضة للسلوك الأخلاقى بحسب تعاليم الرسول بولس :

أخلاق النعمة :

الأخلاق عند بولس الرسول تنبع من نظرته الشخصية للطبيعة البشرية ، فبرغم محاولاته المتكررة للسلوك بالكمال حسب ناموس موسى ، إلا أنه وجد أن البر الذى من الناموس لا يقود إلا إلى الغيرة الخاطئة والقسوة والبر الذاتى .

وانتقل بولس الرسول بعد تجديده إلى مفهوم كامل عن نعمة الله الغنية ، التى تغير الشخصية وتقدى السلوك ، بر هو من الله، لصالح الإنسان وداخل الإنسان .

بعد أن صار رسولاً لم يستطع بولس من أن يفصح عن الصراع الداخلى بين الصواب والخطأ ، وبين ناموس الله وناموس أعضائه الذى يحارب ذهنه النقى . وكان الحل لديه هو نعمة الله وروحه الذى يغلب روح العالم والخطية ويهزم جيوش الظلام داخله . (رو٨:١-٢ و رو١:١٦ و ٢كو٣:١٧ و غلا ١:٥ ، ١٣ ، ١٦ - ١٨ .)

أخلاق العقل :

أما مفهوم بولس الرسول عن الناموس الطبيعى فهو إكتشاف هام لإمكانية باقى البشر للوصول إلى المستوى الأخلاقى الراقى - بالرغم من عدم تهودهم . ولكنهم أيضاً يحتاجون إلى عمل الفداء والنعمة لأنهم زاغوا وفسدوا (رو ١ - ٢) ،وهذا يؤكد كيف يرشد العقل الإنسان للوصول إلى الله .

أخلاق الاتحاد بالمسيح :

أما كيفية السلوك فى الفضيلة فهو يأتى بأن يكون المسيح هو المثل الأعلى ، وحتى حين حث بولس سامعيه على التشبه به قال لهم « تمثلوا بى كما أنا بالمسيح » ، وعلى المؤمنين أن يعيشوا لا لأنفسهم بل للذى مات لأجلهم وقام (٢ كو ٥:١٤ - ١٥) وهكذا يحيا المسيح فيهم ، وهم يحيون حياته الفاضلة على الأرض . فهى إذاً أخلاق الاتحاد بالمسيح إذ يكون للمؤمن فكر المسيح (١كو٢:١٢ - ١٦) ويحيا بناموس المسيح (غلا ٦ :٢) وقد خلصت أعضائه بختم النعمة .

أخـــلاق الاستعداد للنهاية :

كذلك لم يفت بولس أن يخبر تلاميذه عن مصدر آخر هام من بواعث الأخلاق السامية ، وهو قرب مجئ الرب (١ تس ٥ : ١-١٠ و أكـــو١٥: ٢٨ و رو١٣ ، ١١ - ١٤ و ١كو٧: ٢٩-٣١) .

أخـــلاق الجماعـــة :

أفاض بولس فى تحديد مستويات السلوك الجماعى للأزواج والزوجات والأبناء ، والسادة والعبيـد والدولة والشيـوخ والصغـار .. إلخ وكانت عنده الأخلاقيات الجماعية نابعة من حقيقة كوننا جسداً واحداً مرتبطاً بعضه ببعض، فما يؤثر فيّ يؤثر فى الكنيسـة ، فليس على السارق أن يسرق،لأنه يخون الجماعـة ، ولا نكذب لأننا أعضاء بعضنا بعض (أف ٤: ٢٥-٣٠) فروح الوحدة والإخاء بين البشر هى المصدر الملزم للأخلاق المسيحية .

أخـــلاق المحـــبة :

عند بولس هى الناموس الجـديد الجـامع الشـامل، والحب عنده هو المحـبـة البـاذلة (أغابى) ، وهى محبة للجميع ، المؤمنين وغير المؤمنين ، محبة تنبع من الاقتداء بالمصلوب، وهى تأتى من الله، بإنسكاب الروح القـدس فى قلب المؤمن (أنظـــر رو١٢: ١٤ و أف ٤: ٦ و ٢كو١٣)

التحرر من الاهواء في النسك الرهباني

الذى يقرأ كتاب أصـول الحـياة الروحـية (رهبنة الحرف)أو بستان الرهبان ، يكتشف مراحل متميزة للنمو فى الفضيلة .

فحينما يتوجه الراهب المبتدئ إلى الدير، يجد نفسه أمام من يطالبه بالصورة الأولى للجهاد وهى :

النسك الخارجي : وما يتبع ذلك من صوم وصلاة وسهر ومثابرة وصمت ، وأيضاإمتناع وتعفف .. وهذا التعفف والإمتناع يعتبران الإطار الحارس للحياة الروحية ، كما تحمى القشرة الخشبيه الثمره الحلوه . ولما كانت الفضيلة هى الهدف النهائى للجهـاد فإن الخطوة الثانية تكون :

النسك الداخلي : فيعرف الراهب التسامح ويمارس الشركـة ويحتـمى بالإيمان فيـتعلم الرجاء والوداعة .

وهكذا يكون الحب هو الدافع للسلوك فى كل جهاد الراهب .

مرحلة التحرر من الأهواء :

هنايصل الحب بالراهب إلى أعلى سلم الجـهـاد : السكون النقى - حيث لاهوى ولا إشتهاء للعالم ، وحيث الطهارة تملأ القلب ، فيشمل السلام حياة الراهب فيعطى ذاته إلى الله فى صلاة دائمة ، حتى أن البعض وصلوا إلى درجة أن صارت حياتهم صلاة دائمة ،

فيردد مع أغسطينوس ، أحسست أنني أقف على قمة العالم ، حينما صرت لا اشتهي شيئاً ، ولا أخاف شيئاً » .

ونلخص ما قلناه حتى الآن في الآتي :

يختلف الناس في نظرتهم للأخلاق ، فمنهم من ينظر إلى المنفعة أو اللذة ، ومنهم من يسعده الخير الأسمى ، كالفكر والحكمة والعلم والفن والرياضة ، ومنهم من يدفعه الواجب والشعور بالإلتزام نحو الآخرين بالعمل على ما فيه خيرهم ، وتجنب الخطأ ، لأن ضميره الشخصي لا يرتاح له . وفوق هؤلاء جميعاً من أحبوا الجميع أبراراً وأشراراً ولبسوا المحبة مثل الثوب وارتبطوا برباط الكمال فصاروا أبناء للآب السماوي .

وبعد هذا العرض التاريخي المختصر ننتقل الآن لدراسة بعض الأبحاث التي عملت في علم الأخلاق .

دراسات لورانس كولبرج
في مراحل النمو الخلقي

« لورانس كولبرج » Laurance Kohl-berg ولد سنة ١٩٢٧ ، هو أستاذ علم النفس الإجتماعي Social Psycholoy في واحدة من أعظم جامعات أمريكا (والعالم) وهي جامعة هاوفرد في بوسطن شرق الولايات المتحدة . ويقوم بجوار التدريس بمتابعة أبحاثه في معهد أسس خصيصاً له في التربية الخلقية والنمو الأخلاقي ، وقد كرس حياته المليئة بالنشاط والتجارب الميدانية والسفر إلى بلدان العالم والشرق والغرب لتطبيق وتجريب نظريته التي عرف بها وعرفت به وهي (نظرية كولبرج في النمو الأخلاقي) .

ولا يخفى تأثير « بياجيه » عالم النفس السويسري على أفكار « كولبرج » الرئيسية إذ يعتبر كولبرج أن أي نمو في الحكم الأخلاقي لابد أن يسبقه نمو في الحكم والتمييز العقلي Reasoning بصفة عامة ، وقد رأى بياجيه أن الطفل قبل الرابعة من عمره لا يقع عليه مسئولية أدبية لعدم إمكانه إدراك الصواب من الخطأ ، وقد أسمى هذه المرحلة « مرحلة ما قبل الحكم الأخلاقي Amoral Stage » ثم قسم الحكم الأخلاقي إلى معدودين رئيسيين

ولكن بياجيه لم يتوسع في دراسة قضية نمو الأخلاق عند الإنسان،مما أفسح المجال من بعده إلى تلميذه الأمريكى الأشهر «كولبرج» لإجراء تجاربه وأبحاثه.

والجدول التالى يبين ملاحظات بياجية على النمو الخلقى للطفل:

مراحل النمو الأخلاقى عند بياجيه

العمـــر	المرحلـــة	المميـــــزات
ما قبل أربع سنوات	مرحلة ما قبل النمو الخلقى Amoral Stage.	* عدم القدرة على الحكم الأخلاقى.
من ٤ ـ ٧ سنوات	مرحلة الأخلاق الواقعية (المادية) (تقابل المرحلة ما قبل الإجرائية) Preopertional.	* يتمركز الحكم الأخلاقى حول الآثار التى يحدثها خطأ ما، فمن يكسر عشر زجاجات بدون قصد قد فعل خطأ أفدح ممن يكسر زجاجة واحدة حتى ولو كان متعمداً. * القوانين ثابتة، ولايمكن تغييرها أو الإستثناء منها. * العقوبة أوتوماتيكية تلحق الفعل، ولايمكن تجنبها ، وتهدف إلى الإنتقام لا الإصلاح.
من ٧ ـ ١٠ سنوات	مرحلة إنتقالية تقابل مرحلة التفكير الحسى Concreat Opertional	* إنتقال تدريجى إلى المرحلة التالية.
من ١١ سنة فما فوق	مرحلة الأخلاق التلقائية الذاتية، توازى مرحلة التفكير النظرى، المجرد. Formal Operation.	* الأخلاق تبادل بالمثل. تؤخذ النوايا فى الإعتبار. القوانين عرف سائد. العقوبة يحددها المجتمع ، ومن الممكن الإفلات منا.

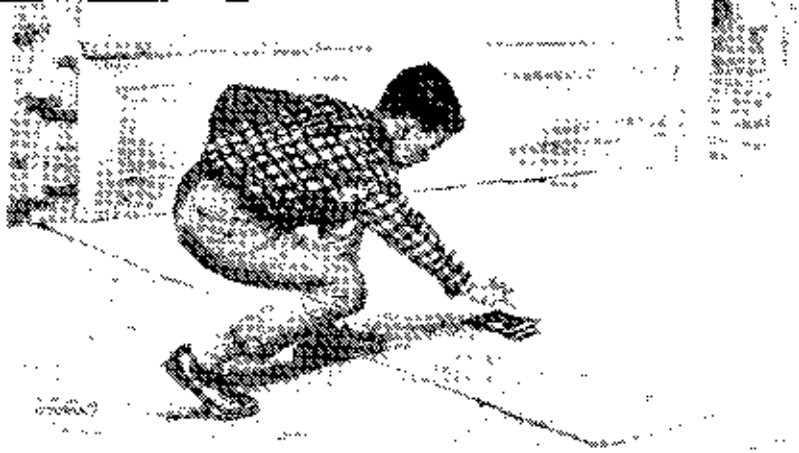

وهنا يظهر بوضوح وجود قصور بهذه النظرية التي لا تغدو أن تكون ملاحظات على الحكم الأخلاقي للطفل حتى سن معينة ، وهذه الملاحظات تنبع من دراسة بياجيه للنمو العقلي عند الطفل ، مما يجعل نظرية السلوك الأخلاقي عنده مجرد تطبيق على نظريته المعرفية الرئيسية (التي سبق لنا دراستها في كتاب آخر بعنوان بناء الإنسان) .

وجدير بالذكر أن نظرية كولبرج التي سندرسها بعد قليل تحترم مراحل التفكير العقلي عند بياجيه بدرجة كبيرة بل إنها تقوم عليها وتنبع منها ، فالطفل يحتاج لكي يصدر حكماً أخلاقياً، إلى أن يضع نفسه في موقع الآخرين، وهذه عملية عقلية لا تحدث بسهولة في الطفولة المبكرة . كما عليه أحياناً أن يتجرد من ذاتيته في نظرته للآخرين وأن يضع نفسه مكانهم حتى يمكنه أن يحكم حكماً عادلاً .

وأخيراً فإن عليه أن يناقش الفكرة وعكسها ، ويراعي الإستثناءات ، فما يعتبر شراً في موقف معين يعتبر الخير بعينه في موقف آخر ، ثم أن عليه في النهاية أن يوفق بين المتناقضات ، ويستنتج المبدأ العام الذي يسلك به في كل مرة على حدة وكل هذه عمليات عقلية متقدمة تجعل النمو الأخلاقي يتدرج ليصل إلى كماله مع النمو العمري والمعرفي .

وسوف نخصص الصفحات القادمة من دراستنا هذه لعرض شامل لنظرية كولبرج وآرائه في علم السلوك .

دراسات كولبرج في علم الأخلاق :

ذكرنا كيف أمضى كولبرج ٢٠ عاماً منذ عام ١٩٦١ ـ ١٩٨١ يبحث في النمو الخلقي في مركز دراساته بجامعة هارفرد بالولايات المتحدة الامريكية ، ثم إنتقل إلى تركيا وإسرائيل وبلدان الشرق الأدنى ليستكمل أبحاثه الميدانية واسعة المدى عن أخلاق الأفراد والشعوب ، وأخيراً حين تجمعت لديه مئات الصفحات وما يربو عن ١٤٠ مقالة منشورة

أصدر ثلاثة مؤلفات ضخمة فيما يزيد عن ألف وخمسمائة صفحة تتعلق بالجوانب المختلفة لنظرية النمو الأخلاقي ، وقد أسعدني الحظ و أستمتعت بقراءة معظم كتاباته لألخصها للقارئ العزيز ، دون أن أعتبر هذا جهداً ضائعاً ، وذلك نظراً لفائدتها الشخصية والعامة سواء للكاهن أو الخادم أو الوالدين .

طريقة كولبرج في البحث :

إستخدم كولبرج طريقة فعالة في تصنيف الناس بحسب أحكامهم الأخلاقية ومستواهم السلوكي ، وهذه الطريقة هي طريقة مناقشة المعضلات Dilemmas. والمعضلة مشكلة أخلاقية يستوي فيها طرفا الحل ، سواء كان القرار بالإيجاب أو بالنفي ، فإساءة معاملة المجرمين قد ينظر له على أنه خطأ من ناحية الرحمة بهؤلاء، وقد ينظر له أنه صواب لأنه حماية للمجتمع من شرهم . وعن طريق طرح هذه المعضلات يبدأ المجيب بالتفكير ، فيلاقيه المستخبر بأسئلة تساعده على تحديد قيمه ومبادئه الخاصة ، وعلى إصدار حكم خلاقي على المشكلة . وقد رأى كولبرج فائدة هذه الطريقة وتفوقها على القصص المعتادة التي ينتصر فيه الخير بطريقة أوتوماتيكية ، أو التي يصور فيها كل الناس فضلاء جيدون .

وفيما يلي عرض للمعضلة الرئيسية التي أستخدمها كولبرج لإثارة تفكير المجيبين، وقد أسماها معضلة هنز نسبة للبطل الوهمي صاحب المشكلة ، وعن طريق تحليل النتائج وصل كولبرج إلى نظريته ذات المراحل الستة للأخلاق .

معضلة هينز Hienz Dilemma

قاربت إحدى السيدات الموت نتيجة إصابتها بأحد أنواع السرطان ، وكان الأطباء يعتقدون أن هناك نوعاً واحداً من الأدوية هو الذي يمكنه إنقاذها ، وكان الدواء أحد أشكال الراديوم الذي أكتشفه أحد الصيادله حديثاً ، ويتكلف تصنيع علبة من هذا الدواء ٤٠٠ جنيه ، لكن الصيدلي كان يتقاضى عنه عشرة أضعاف ثمن تصنيعه أي أنه كان يبيعه بـ ٤٠٠٠ جنيه . حاول (هينز) زوج السيدة المريضة أن يقترض من كل من يعرفهم ، وطرق كل الأبواب والوسائل المشروعة ، ولكنه لم يحصل إلا على ربع المبلغ المطلوب لشراء الدواء ، فإلتجأ إلى الصيدلي شارحاً له حالة زوجته التي تقارب الموت ، علّه يقبل أن يعطه الدواء بثمن أقل أو أن يدفع له المبلغ الباقي فيما بعد ، لكن الصيدلي رفض قائلاً أنه هو صاحب الإكتشاف وهو يتكسب منه . وهكذا حاول (هينز) بكل الطرق المشروعة ولكنه عاد خائباً ، وأخيراً كسر محل الصيدلي ليسرق الدواء لزوجته .

- هل كان يجب أن يسرق (هينز) الدواء ؟
نعم أم لا ، ولماذا ؟

- هل كان من الصواب أو الخطأ لهينز أن يسرق الدواء ؟
نعم أو لا ؟ ، ولماذا ؟

- هل كان واجباً على هينز أم مضطراً أن يسرق الدواء ؟ نعم أو لا ، ولماذا ؟

- إذا لم يكن هينز يحب زوجته ، هل كان سيسرق الدواء من أجلها ؟ نعم أو لا ؟ ولماذا ؟

- هل كان سيصبح هناك فارق فى تصرف هينز إذا كان يحب زوجته عما إذا لم يكن يحبها ؟
نعم أو لا ؟ ولماذا ؟

- إفترض أن هذا المريض الذى أوشك على الموت كان غريباً ولم تكن زوجته .. هل كان يجب أن يسرق الدواء لأجل الغريب ؟
نعم أو لا ؟ ولماذا ؟

- إفترض أن من يحبه كان حيواناً أليفاً .. هل كان يجب أن يسرق الدواء للحيوان الأليف ؟
نعم أو لا ؟ ، ولماذا ؟

- هل يعد أمر هام أن يفعل الناس كل ما بوسعهم لإنقاذ حياة الآخرين ؟
نعم أو لا ؟ ، ولماذا ؟

- من المعروف أن السرقة ضد القانون ، وقد لجأ هينز للسرقة .. فهل هذا يجعلها خطأ من الناحية الأخلاقية ؟
نعم أو لا ؟ ، ولماذا ؟

- بصفة عامة ، هل يجب أن يفعل الناس كل ما فى وسعهم لإطاعة القانون ؟
نعم أو لا ؟ ولماذا ؟

كيف يمكن تطبيق هذا على ما كان يجب أن يفعله هينز ؟

هل يسرق الدكان ؟

وفيما يلى صورة أخرى لمعضلة هينز (بعد تطويرها للتصلح للمناقشة فى القرى) :

تزوج رجل بإمرأة فى إحدى القرى القريبة من الجبل ، وقد بدأ الرجل فى زراعة بعض المحصولات ، ولكن المطر لم ينزل فلم يحصد شيئاً ونفذ الطعام لديه ، أما الزوجة فقد مرضت وأصبحت طريحة الفراش . وأخيراً أوشكت على الموت جوعاً .

لم ينجح الرجل فى أن يجد أى عمل ، أما المرأة فلم يكن لها قوة على العمل ... وكان فى القرية دكان بقال واحد ، فذهب الرجل إليه طالباً طعاماً على أن يدفع مؤخراً ،

فرفض البائع قائلاً ، لا ، بل تدفع مقدماً ، فذهب الرجل إلى كل مكان القرية ، فلم يكن لدى أى منهم طعام زائد عن حاجته .

وهكذا ذهب الرجل إلى الدكان ليلاً وكسره ودخل يسرق طعاماً لزوجته .

هل كان عليه أن يفعل هذا ؟

نعم أم لا ؟ ولماذا ؟

ملخص نظرية كولبرج

تتلخص نظرية كولبرج بان هناك مراحل ستة للنمو الأخلاقي لا تختلف كثيراً من إنسان لآخر ، أو من مجتمع لآخر أو من دين لآخر وأعتبر هذه المراحل مراحل نمو وارتقاء Development ، كالتي يمر بها الجنين أو الطفل بعد الولادة حتى النضوج . ونود أن نلاحظ أن نظرية كولبرج كان يمكن أن تصاغ فى شكل نماذج أو أنماط للسلوك وليس مراحل ، فهذا الإنسان الأنانى ، وهذا الإنسان النفعى ، وذاك الإنسان الحرفى ، وهناك الإنسان العادل ، ولكن كولبرج لم يفعل هكذا إنما قال إن الإنسان يمر بكل هذه المراحل بطريقة متعاقبة ، فيتجاوز الأنانية إلى النفعية فالحرفية فالعدالة ... الخ .

تعريف كلمة مرحلة :

لابد للمراحل أن تتصف بالتعاقب والتقدم للأمام والتدرج .

التعاقب : لكى يكون النمو مرحلياً ينبغى أن تأتى المراحل واحدة فواحدة ، فإن كان فرداً ما فى مرحلة السلوك الأنانى ، ولم يتجاوزها إلى مرحلة المنفعة المتبادلة ، فمعنى هذا أنه سيتصرف بأنانية فى كل موقف يعترضه ولن يتأرجح بين سلوك وسلوك . فالمراحل إذن يجب أن تأتى متعاقبة وليس متزامنة .

التقدم : وينبغى لمراحل النمو أن تتجه للأمام ، فهى لا تستطيع أن تتجه للخلف ، فقد يتوقف الإنسان فى نموه عند مرحلة معينه كمرحلة الحرفيه مثلاً ، ولكنه لا يستطيع أن يعود إلى أخلاق الطفل ، فمتى نمت الذبته فلن تعود تدخل داخل البذرة مرة أخرى .

التدرج : وأخيراً فإن الإنسان لا يستطيع أن يقفز من المرحلة الأولى إلى السادسة دون المرور بالمراحل ٢ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ أى أنه لكى يصل الإنسان إلى مرحلة ما لابد عليه أن يجوز من خلال المراحل السابقة واحدة فواحدة .

هينز : هل يسرق (و لا يسرق ؟ ولماذا ؟

إجابة المعضلة والمراحل الستة للأخلاق :

يختلف الناس فى تقييمهم للموقف الأخلاقى المعروض عليهم بحسب المستوى الذى وصلوا إليه فى الرقى الأدبى .

وفيما يلى الإجابات المتوقعة للناس فى المراحل المختلفة عن معضلة هينز ، ونلاحظ أن إجابة السؤال هل يسرق هينز الدواء أم لا يسرقه لا تبين المستوى الأخلاقى للشخص إلا اذا سئل بعد ذلك ، لماذا ؟

حسب الجدول التالي :

المرحلة الأخلاقية	لماذا يسرق	لماذا لا يسرق
١ الخوف من العقوبة .	لابد أن يسرق لأن زوجته ستموت وسيعاقبه أهلها على إهماله فى علاجها .	لا يجب أن يسرق لأن البوليس سيراه ويضعه فى السجن .
٢ المنفعة الشخصية	لابد أن يسرق لأنه حتى لو دخل السجن لفترة ما سوف يعود ليجد زوجته فى إنتظاره .	لا يجب أن يسرق لأن زوجته قد تموت وهو فى السجن فيكون لم يستفد شيئاً .
٣ البحث عن المديح أو تجنب الذم (ولد شاطر - بدت خلوة)	لابد أن يسرق حتى تشكره زوجته على مخاطرته بنفسه ، حتى لا يذمه أهلها اذا ماتت ، فإن لم يسرق وترك زوجته تموت لن يستطيع أن يواجه الناس .	لا يجب أن يسرق لأن الناس سيمدحونه على أمانته ، ولأنه إذا سرق سيفقد سمعته ويشير إليه الناس على أنه سارق .
٤ حفظ النظام الاجتماعى	لابد أن يسرق لان القانون أو العرف يقدس الحياة أكثر من الملكية .	لا يجب أن يسرق لأن الكنيسة أو القوانين أو الجماعة تقول له أن السرقة حرام وخطأ

المرحلة الأخلاقية	لماذا يسرق	لماذا لا يسرق
٥ العقد الاجتماعي	يجب أن يسرق لأن الزواج عقد يلزم الزوج بالعناية بزوجته فى أى ظرف من الظروف ، وهذا يعطى الشخص الإحترام أمام نفسه والآخرين .	لا يجب أن يسرق لأن العرف يقتضى أن من يملك الدواء له الحق فى تقاضى ثمناً له ، فمن يسرق يفقد إحترام الجماعة
٦ المبادئ أو الأخلاق المثالية	لابد أن يسرق لأن الحياة أهم من أى شئ آخر ، سواء المال ـ الملكية ـ رأى الناس .. الخ ولأن الصيدلى لم يراعى العدالة فى رفعه لسعر الدواء ، وسوف يوبخه ضميره بشدة لأنه كان خائفاً من القوانين ولم يراعى ضميره الشخصى .	لا يجب أن يسرق لأن الأمانة هدف فى حد ذاتها ويجب علينا أن نسير عليه مهما كانت التكلفة . فإن سرقت فإنك لن تخاف عقوبة الناس بل توبيخ ضميرك على عدم الامانة .

مستويات الأخلاق بحسب كولبرج

بلور كولبرج مراحلة الستة فى النمو الأخلاقى للبشر عامة دون التقيد بعمر معين، فهناك فتى أو مراهق أو رجل فوق العشرين وقد وصل إلى أعلى الأخلاقية، بينما لم يزل قريبه (والذى يكبره سناً) فى المستوى الأول أو الثانى. فهذه المراحل سلوكية وليست عمرية، كذلك قسم كولبرج المراحل الستة إلى مستويات ثلاثة، كل مستوى يحتوى على مرحلتين. وقد أسمى المستوى الثانى الذى يحتوى على المرحلتين (٣، ٤) مستوى الأخلاق الإعتيادية أو العرفية Conventional أما المستوى الأول الأقل (مرحلة ١، ٢) فهى الأخلاق قبل الإعتيادية Preconventional أما المستوى المتقدم فقد أسماه الأخلاق فوق العادية Post - Conventional

أتت كلمة Conventional فى قاموس المورد تحمل هذه المعانى :

(عرفى - رسمى - إصطلاحى - متفق عليه - عادى (اعتيادى) - غير جديد - خاص بعادة متبعة - خاص بإتفاقية أو معاهدة.)

وقد إستخدمها كولبرج ليصف بها الأخلاق المتعارف عليها، والتى يقرأها أغلبية الناس، وتدعمها السلطة المدينة أو الاجتماعية.

مراحل الأخلاق الستة

قسم كولبرج مستويات الأخلاق الثلاث إلى ست مراحل بحيث يحتوى كل مستوى على مرحلتين :

---

* **مستوى الأخلاق دون الإعتيادية :**

مرحلة ١ الطاعة لتجنب العقوبة Punishment

مرحلة ٢ الطاعة للمنفعة Reward

---

* **مستوى الأخلاق الاعتيادية أو الرسمية أو العرفية :**

مرحلة ٣ الطاعة لنوال المديح (ولد شاطر- بنت حلوة)

Good Boy - Nice Girl

مرحلة ٤ الطاعة لحفظ النظام الإجتماعى Social Order

---

* **مستوى الأخلاق فوق الاعتيادية :**

مرحلة ٥ الطاعة للقوانين أو العقد الإجتماعى أو العرف الإجتماعى

So cialContract.

مرحلة ٦ الطاعة للمبدأ فى حد ذاته، مرحلة الأخلاق المثالية

Universal Principles.

والجدول التالي يوضح تعريف لمستويات السلوك الثلاث بحسب كولبرج

المستوى الأخلاقي	الفئات العمرية	تعريف المستوى
الأخلاق دون الإعتيادة Pre Conventional (الأخلاق هنا غيرية تفرضها سلطة الآخرين) وتتركز على المصلحة الشخصية.	هي أخلاق معظم الأطفال تحت سن التاسعة، وبعض المراهقين والعديد من الشباب والبالغين من المجرمين والخارجين على القانون.	يتصف هذا المستوى بالنظرة الذاتية للأخلاقيات والسلوك، دون إعتبار لوجهة نظر الآخرين أو المصلحة العامة. والسلوك يحكمه قواعد مفروضة من الخارج، لأن المرء لم يصل بعد إلى فهم قواعد السلوك الإجتماعي، كما يتأثر السلوك بالنتائج الحسية للفعل من عقوبة أو مكافأة أو تبادل منفعة.
الأخلاق الإعتيادية أو الرسمية أو العرفية Conventional (الأخلاق هنا إجتماعية تحكمها قوانين كل جماعة).	معظم الشباب والكبار في مختلف المجتمعات الغربية والعربية وفي مجتمعنا المصري.	هو مستوى الطاعة والالتزام بقواعد السلوك الذي تتوقعها الغالبية، ويؤيدها العرف ويقتنع بها المجتمع والسلطة، وتنبع الطاعة من مجرد كون هي القوانين، فتصبح قوانينه هو لأنها قوانين الجماعة التي ينتمي إليها.
الأخلاق فوق العادية أو ما بعد العادية Post - Conventional (الأخلاق هنا فردية تحكمها العقل والمبادىء).	يصل إليها نسبة ضئيلة من الكبار فوق العشرين عادة.	يفهم الفرد في هذه المرحلة قوانين الجماعة ويوافق عليها، ولكنه يتخطاها إلى فهم المبدأ الأخلاقي الذي نشأت منه، فالمبادىء الشخصية هنا - وليس الإجماع العام - هي قواعد الحكم الأدبي. يختار المرء القيم التي يراها مناسبة وجديرة بالولاء في حد ذاتها، ساعياً نحو العدالة وليس فقط محترماً للقانون.

اما هذا الجدول فيشرح المراحل الستة واحدة فواحدة بالتفصيل

اسم المرحلة	الدافع للسلوك	ما هو الصواب ؟
١ ـ مرحلة الخوف من العقوبة .	الخوف من السلطة ، الفرد هنا لايهتم بمصلحة الآخرين، ولا يدرك أنها قد تختلف عن مصلحته ولذته هو.	يجب عدم كسر القوانين خوفاً من العقوبة والأذى الجسدى أو الفقدان المادى للممتلكات. الطاعة من أجل الطاعة نفسها، لمن هم أقوى.
٢ـ مرحلة المنفعة الشخصية (أو تبادل المنفعة) .	طلب المتعة أو المنفعة الشخصية أو المكافأة (المادية عادة) مع معرفة أن الآخرين أيضاً لهم مصالحهم، (من قدّم السيت وجد الأحد)، (نفّع واستنفع)	طاعة القوانين إذا كانت فى مصلحة الفرد ولفائدته المباشرة... العمل على تحقيق أهدافه الشخصية والإعتناء بما يهمه، مع ترك الآخرين يفعلون نفس الشيء ويهتمون بما يعنيهم. الصواب هو فقط ما يتصف بالأمانة فى التعامل والنفع المتبادل، والمساواة وعدم وقوع ظلم على أحد. يجب عمل الخير للآخرين فى مقابل الخير الذى يصنعونه من أجلى.
٣ ـ مرحلة البحث عن المديح (ولد شاطر ـ بنت حلوة) .	الطاعة هنا متعلقة بالأشخاص ولأجل الناس، يدعمها الرغبة فى أن أكون حسنا فى نظر نفسي والآخرين، وأن احتفظ بنمط السلوك المقبول.	ما يمدحه الآخرون وما يتوقعونه كدور لى كإبن أو كأخ أو صديق هو الصواب. ينبغى أن أتصرف حسناً واهتم بالناس واحترمهم واطيعهم، واطبق القاعدة الذهبية للسلوك ، كل ماتريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا أنتم هكذا أيضاً بهم، وذلك بأن أضع نفسى فى مكان الناس.

تابع المراحل الستة

اسم المرحلة	الدافع للسلوك	ما هو الصواب ؟
٤ ـ مرحلة حفظ النظام الإجتماعى. (أو نمو الضمير الجماعى)	إستمرار النظام الاجتماعى الكلى كهدف فى حد ذاته يجب أن يبقى. فالجماعة هى الهدف (وليس الذات كما فى المراحل السابقة، ولا المبادىء نفسها كما فى المراحل التالية).	السلوك العملى بمقتضى القوانين التى اقتنعت والتزمت بها ضميريا، فأصبحت واجباً مقدساً مفروضاً علىّ من ضميرى لا من السلطة الخارجية. القوانين بالنسبة لى جامدة وثابتة ومحددة. يجب أن أساهم فى خدمة الجماعة أو المؤسسة أو الكنيسة التى انتمى إليها. فهى إذاً أخلاق الواجب. الصواب هو أداء الدور الذى يتطلبه منى المجتمع كجزء من كل فى إطاعة للسلطات. ما تقره الجماعة صواب حتى لو لم يكن عادلاً، يحاول الشخص فى هذه المرحلة تحديد القوانين بدقة وثبات ووضوح على مستوى الصواب أو الخطأ، الحرام أو الحلال. لايجب مقاومة أو تهديد السلطة أو النظام الإجتماعى أو عدم الطاعة لأى سبب كان.
٥ـ مرحلة العقد الاجتماعى. (أو العرف).	طاعة المبدأ الذى أقرته الجماعة فأصبح عرفاً. والعرف أصبح قانوناً للسلوك، وكأنه عقد غير مكتوب. (للعرف قوة حتى لو لم يكن محمياً بسلطة	العرف نسبى فما يصلح ويصح لمجتمع لا يصلح ولايصح لمجتمع آخر، ومع ذلك فعلىّ أن أعيش وفقاً للمبادىء التى تكفل لجماعتى المحلية إستمرارها لأن هناك إلتزام جماعى. يعد رأى الأغلبية قانوناً للجماعة. فهى إذن مرحلة الأخلاقيات الرسمية

اسم المرحلة	الدافع للسلوك	ما هو الصواب ؟
	خارجية). حفظ القانون يفيد الكل، ويدبغى لى أن أقوم بمطلق إختيارى بالتزاماتى أمام الأسرة والأصدقاء والعمل من أجل الصالح العام لأكبر عدد من الناس.	التى يقرها (الدستور)، ولكن بشرط أن يوافق عليها الجميع بحرية. هناك بعض القوانين غير العادلة والتى لا تتمشى مع بعض المثل العليا، وهنا يجد الشخص فى هذه المرحلة نفسه فى حيرة بين ضميره وبين حكم الجماعة وقوانينها. وأخيراً فإنه يحكم بإمكانية تغيير القوانين نفسها.
٦- مرحلة المبادىء الأخلاقية المثالية. (مرحلة الوعى بالعدالة).	المبدأ هام فى حد ذاته ليس بسبب خوفى من السلطة، ولا إحتياجى إلى الايمان به، ولا إلتزامى أمام الجماعة. تجنب عذاب الضمير. إقتناعى بالإلتزام بالقيم التى أؤمن أنها ليست قاصرة على زمن أو مجتمع معين، بل دائمة وخالدة.	طاعة المبدأ الذى يقره حكمى الأخلاقى بعد فهم كامل وفحص للقوانين الوضعية وتوخى العدالة فيها قبل طاعتها. الخروج عن العرف جائز إذا سمح به حسى الأخلاقى. لا يكتفى الشخص فى هذه المرحلة بالسلوك فى الفضيلة أو معرفة الصواب فى كل حالة، بل يحاول جاهداً الوصول إلى المبدأ العام الذى يصلح كقاعدة للسلوك مثل «أحب الله وأفعل ما شئت»، أو مبدأ قيمة الحياة البشرية، أو مبدأ العدالة، والمساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات، التى لها قيمة مطلقة فى نظر الشخص الناضج. الإنسان غاية فى حد ذاته وليس وسيلة. القوانين المدنية نابعة من القيم الإنسانية ويجب أن تؤخذ الأخيرة فى الإعتبار عند تنفيذ تلك القوانين.

تصنيف للمترددين على الكنيسة في ضوء مراحل كولبرج الستة :

سنحاول فيما يلي أن نعطى الخادم إحساساً متزايداً بالمراحل المختلفة ، بحيث يستطيع بعد قراءة هذا الجزء تحديد المراحل الأخلاقية التى يجوزها من هم حوله من المخدومين (وبالطبع الخدام) وسوف نرى كيف أن المستوى الأخلاقى للناس ينمو تدريجياً ، ويؤثر ويتأثر بمستواهم الروحى وشعورهم الدينى نحو الله والواجب والقريب .

المرحلة الأولى : مرحلة الخوف من العقوبة

لا يتسم بها كل الأطفال فقط ، بل أيضاً بعض الأشخاص الذين يحركهم الخوف من العقوبة كدافع أساسى للسلوك فالطاعة لله واجبة لأنه أقوى وأقدر من الإنسان ، وهو قادر أن يرسل الى (النار) الذين لا يطيعونه . والخوف من العقوبة يقوم السلوك ، فبداية الحكمة هى مخافة الله ، وإن كان هناك درجات أعلى من هذه الدرجة فى النمو ولكن هذه هى البداية .

يتسم كذلك التفكير الدينى عند الأطفال فى هذه المرحلة بالتركيز على الطاعة للكبار الذين يفوقونهم حجماً ، وبالتالى فإن لهم حق السيادة والسلطة . والله أكبر من الكل ، ولكن

الطفل يفهم هذه الحقيقة بطريقة مادية ، وكأن الله أكبر حجماً أو سناً من الكبار وقد سجل أوزر Oser سنة ١٩٨٠ في أبحاثه ملاحظات الأطفال قائلين :

« يستطيع الله أن يمتد ويملأ كل مكان »

« أو أن ينفخ في الريح »

أما عن الخليقة فالطفل يتخيلها وقد تمت بطريقة شبه سحرية ، فالله ينادي على الأشياء بأسمائها أو يضع أصبعه عليها فتكون . ولا زال بعض الكبار يتخيلون أن الله ينادي على الأشياء بطريقة لفظية فيقول بصوت عال جداً « ليكن نوور ... ! »

ولا يهتم الطفل كثيراً بإجابة السؤال الخاص ب (لماذا) خلق الله العالم ؟ ويكتفي بالبحث في (كيف) خلق الله العالم ؟ مركزاً على سلطته الإلهية المطلقة ، وبالتالي على طاعته العمياء .

المرحلة الثانية : مرحلة المنفعة الشخصية أو المنفعة المتبادلة

إن لم يكن هذا التعليق حادثة عرضية فإنه يدل على كون الرسولين يعقوب ويوحنا وأمهما في المرحلة الثانية حين قالوا : يا معلم نريد ان تفعل لنا كل ما طلبنا فقال لهما ماذا تريدا أن أفعل بكما ؟ فقالا له اعطنا أن نجلس واحد عن يمينك والآخر عن يسارك في مجدك ، فقد ارادوا الانتفاع من وراء الخدمة .

ولما كان سلوك الطفل (أو اليافع الذي لم ينضج خلقياً) في هذه المرحلة يحكمه شعور بالأمانة في التعاملات المتبادلة ، وبالتالي فإن العلاقة مع الله علاقة تبادلية . فإن أعطى الله الإنسان إمتيازاً أو حظوة أو صنع معه معروفاً فإنه يجب على الإنسان أن يفعل ما يريده الله منه بالتالي (أعطوا تعطوا) ، مع فارق واحد هنا أن الله يبدو للطفل كأنه يمنح عطاياه عن عمد لكي يبادله الناس الخير ويعطونه الولاء والشكر . ويشعر المرء في هذه المرحلة أنه يستطيع ان يستمطر مراحم الله بالصلاة والممارسات الدينية . وكثيراً ما تثار التساؤلات والشكوك إذا شعر المرء أن صلاته لا تستجلب بطريقة منتظمة أو مباشرة (أوتوماتيكية) هذه الحسنات . وقد يتهم الإنسان الله بعدم العدالة أو العشوائية ، وعند الناس الأكثر تديناً يعاني الكثير من الشابات أو الشبان لعدم حصولهم على تعزيات وفيرة كلما زادت فترة صلواتهم . والواقع أن الله لا يفتح كوى السماء فتبدو الملائكة في بهائها أمام المصلين في كل مرة يرفعون فيها أيديهم ، كذلك فهو لا يعاقب السارق بمرض مفاجئ أو شلل يوقف حركته ويمنعه من السرقة ، بل يؤخر العقوبة والمكافأة لكي يعطي للإنسان فرصة إصدار الأحكام الخلقية ، فيفعلون الخير لأجل الخير نفسه ، وليس لأجل المنفعة التي تأتي من ورائه .

المرحلة الثالثة : مرحلة البحث عن المديح أو تجنب الذم (ولد شاطر - بنت حلوة)

هذه هى مرحلة الأخلاقيات التى يدعمها إستحسان المجتمع وموافقة الكبار ، ويعتبر المديح أو الرغبة من الهروب من الذم هو الدافع للسلوك . كذلك يستطيع الشخص فى هذه المرحلة أن يرى الأمور من وجهة نظر الطرف الآخر ، كما يستطيع أن يقلد أدوار الآخرين ويضع نفسه فى موقعهم . وكثيراً ما نسمع الأطفال فى أثناء لعبهم يقلدون الكبار الذين يقعون فى دائرة إهتمامهم ، كالأب والأم والأخ الأكبر والكاهن ، للتدرب على السلوك المقبول إجتماعياً ، والذى يستجلب المدح لا العار أو الذم .

ومما يميز هذه المرحلة أننا نسمع الحوار الآتى :

* مش مفروض نعمّل كده ..

* الولد الشاطر دايماً يعمل ....

* البنت الحلوه ما تعملش كده ..

وما يحدث بالضبط هنا هو نمو الأنا الأعلى الذى تغذيه قيم الكبار وقواعد الجماعة ، ويمتاز هذا الأنا الأعلى بالقدرة على الكف ومنع التصرفات المستهجنة ، لكن هذا الأنا الأعلى رغم كونه قوة داخل الجهاز النفسى ، إلا أنها لم تبلغ إلى مستوى الضمير الشخصى الذى يدفع الإنسان إلى المحبة غير المشروطة للآخر والتمييز بين الصواب والخطأ دون العودة إلى الآخرين :

كما لاحظ فاولر Fowler ١٩٧٦ أن الشخص هنا يبدأ أن ينظر إلى الله ليس كقوة مبهمة أو مصدر للرزق (أو الحلويات للأولاد المهذبين) بل كشخص .. صديق مثلاً أو راع حنون يفوق حبه الحب البشرى ، لا يخون ولا يتخلى عن محبيه ، وهو يحرص أن يساعد الناس لكى يكونوا فضلاء ، وهذا بلا شك يسر قلبه ويسعده ، وبالتالى فإن تعدى القوانين الأخلاقية يحزنه . وكثيراً ما نسمع الخادم أو الأم تقول :

* ربنا يكون مبسوط لما تعمل كذا ..

* ما تعملش كده علشان الرب يسوع يحبك ..

* اذا كان هذا المشوار يسر قلب يسوع فإذهب ..

ولا شك أن هذا المستوى أعلى من مستوى طلب المنفعة أو الخوف من العقوبة المادية أو الروحية ، لأن الشخص فى هذه المرحلة يطلب ، العلاقة ، مع الله نفسه ، كما يطلب تأييد الله وإستحسانه لخطواته .

وإن كنا ننصح دائماً بإستعمال هذه الأساليب لترقية مشاعر الأطفال (أو حديثى الإيمان) وإعطائهم دفعة سلوكية ، إلا أننا

نقول إن هذه المرحلة ليست أعلى المراحل ، لأنه في المرحلة السادسة مثلاً نجد أن الإنسان يصنع الخير لا لإسترضاء الناس أو حتى الله أو نوال مديحهم أو لأن الخير يصاحبه شعور بالرضا عن النفس أو الراحة بعد أداء الواجب الديني ، ولكن من أجل الخير في حد ذاته .

المرحلة الرابعة : مرحلة حفظ النظام الإجتماعي أو نمو الضمير الجماعي

لا يزال الشخص في هذه المرحلة في مستوى الأخلاق التقليدية التي تفرضها قيم الجماعة وضميرها ، وهو هنا في مرحلة أخلاق الواجب كما يحددها المجتمع والكنيسة ، ولم يتم عنده بعد الحس بالمبادئ والمثل العليا في حد ذاتها .

وكما يتعب طفل الرابعة والديه بسيل من الأسئلة المتلاحقة التي تبدأ وتنتهي بكلمة «لماذا» ، فإن المراهق أو الشخص في المرحلة الرابعة من مراحل النمو الخلقي يعيد تقييم حياته على ضوء تساؤلات متزايدة تنبع من داخله ، تحتاج إلى من يستمع إليها ويجيبها. وفي مرحلة المراهقة المبكرة (١٤ سنة) تكون الأسئلة قصيرة متتابعة تختص بكل موقف على حدة ، وكأن المراهق يريد فتاوى قانونية صغيرة في كل موقف على حدة .

أمثلة :

* مشاهدة التليفزيون حرام أم حلال .
* هل يصح إستخدام المكياج .
* كم عدد الهزامير التي أصليها يومياً .
* ما هي التداريب أو العقوبات التي اعملها إذا أخطأت حتى يغفر لي الله ؟
* هل يحل أكل السمك في الأربعاء أو الجمعة ؟
* ماذا يجب أن أفعله نحو أسرتي ؟

المرحلة الخامسة : مرحلة العقد الإجتماعي (أو العرف)

وهذه المرحلة كما أسلفنا هي مرحلة (العقد) الإجتماعي ، ويفهم المتدين الإلزام الخلقي على إنه نابع من (قوانين) الكنيسة أو تراث الآباء أو خبرات المرشدين المتمركزة حول الوصايا الإلهية ، وهو يحاول أن يجد معنىً لوجوده داخل الجماعة ، محدداً لذلك التزاماته تجاه من هم أكبر أو أصغر منه ، وتجاه الفقراء ، كذلك تجاه الكهنة والأساقفة والشمامسة ، وما هي حقوقه وواجباته تجاه كل فرد منها .

فالذي يهمنا بالدرجة الأولى هنا ، هو هذا الطابع القانوني للشعور الديني في هذه المرحلة ، فسواء كان هذا القانون مكتوباً أم لا فهو الدافع المؤثر على السلوك .

فلأنى شماس أو خادم أو إبن كاهن أو طبيب فإن على أن التزم بسلوك معين ، لأنى ارتضيت أن اكون فى هذا الموقع أو كلفت به ، فهناك إذن عقد أو عرف أو سلوك متوقع من كل شخص ، يحدد حقوقه وواجباته وأحكامه الأخلاقية . ولا يأخذ الشخص فى هذه المرحلة الإلتزام الأخلاقى بصفة عمياء بل بصفة واعية ، فيحاول تقييم القوانين نفسها على ضوء حسه الأخلاقى الداخلى ، وليس بناء على رأى الجماعة . وهناك مجموعة أخرى من التساؤلات التى تعترض فكر المراهق (أو الشخص) فى المرحلة الخامسة ، وتختص بقضايا أعمق من القضايا التى تشغل الفتيان (أو الأشخاص) فى المرحلة الرابعة .

أمثلة :

* لماذا أحيا ؟
* لماذا أنا مسيحى ؟
* لماذا أحيا طاهراً ؟
* لماذا أمارس الفضيلة ؟
* لماذا لا انتقم لنفسى ؟
* لماذا اصلى ؟

وعلينا أن نذكّر المربين أنه كلما نما الذكاء المجرد كلما زادت الأسئلة . وهذا ما يحدث فى المراهقة المتأخرة (١٨ سنة) حين يستطيع الشاب أن يتناول الموضوعات المجردة ويدرك المثل Idlais والأفكار Ideals وليس فقط الحقائق والتصرفات الملموسة ، حينئذ سوف يجتهد هذا الشاب فى البحث عن معنى الكون والكنيسة والنظام الإجتماعى .

المرحلة السادسة : مرحلة المبادئ أو الأخلاق المثالية (مرحلة الوعى بالعدالة)

تنبع الأخلاق ليس من الخوف أو الرغبة فى المنفعة ، بل هى دوافع ذاتية تحرك الناس (فى المرحلة الأولى والثانية) ، كما لا تنبع الأخلاق من رأى الكبار أو الواجب الذى تفرضه الجماعة (كما فى المراحل الثالثة والرابعة) ، كذلك لا تنبع الأخلاق من عقد أو إلتزام قانونى أو أدبى (المرحلة الخامسة) ، إنما يعتبر الله هو المشرع الذى يعطى الناموس والوصايا ، كذلك فهو القوة الكونية التى تحفظ العالم وتحكم أقدار الناس ومصائرهم ، وكأن هناك مغناطيس كبير (هو الله) الذى يؤثر فى كل ما حوله ويوجه بوصلة حياة الشخص فى هذه المرحلة .

وهذه القوانين قد أصبحت الآن قوانين خاصة بى وليست مفروضة علىّ من الخارج. وقد تكلم « كانت Kant » وأفاض عن ما أسماه بالقانون الأدبى الذى يسكن داخل الإنسان ، ويتحكم فى تصرفاته وسلوكه .

وأبدى إعجابه بتلك الطبيعة الخلقية التى فطر عليها الإنسان وقد ذكرنا سابقاً قوله الشهير :

« إنى امتلئ خشوعاً كلما رأيت السماء المملوءة بالنجوم فوقى والقانون الأخلاقى داخلى » .

وقد اعتبر ، كانت ، هذا القانون الأخلاقى المتأصل فى كل الشعوب على مختلف الأعمار والثقافات والمستويات الإجتماعية دليلاً جديداً على وجود كائن أخلاقى مطلق يدعم الأخلاق الفردية والقوانين الوظيفية ، ويغذى الوازع الأدبى ويدفع الناس فى سعى حثيث نحو الكمال .

وحين يتعارض القانون الذى فى داخلى مع مبادئ الجماعة ، وبعض القوانين التى اعتبرها خاطئة بحسى الروحى والأدبى ، فإنى أتبع فى هذه المرحلة ضميرى الشخصى النابع من القيم الإنسانية والدينية ، كالحب والعدالة والمساواة ، وأحاول جاهداً تغيير هذه القوانين النسبية ، أو تجاوزها إلى الخير الأعم والأشمل .

هل توجد مرحلة سابعة ؟

يدرك كولبرج نفسه كيف أن مراحله الستة تقف عند حد (الإنسان الطبيعى) ولا تتجاوزه إلى ما يمكن أن نسميه (الإنسان الروحى) .

ولذا فإن عالم الأخلاق الكبير «كولبرج» يقترح التحدث عن مرحلة سابعة تفوق الأخلاق الطبيعية إلى ما هو أعلى منها .

يحاول كولبرج جاهداً أن يربط المرحلة السابعة بالمطلق أو الحق الكونى ، فيقول أن الإنسان فى المرحلة السادسة قد يصل إلى العدالة التى يفترضها المجتمع والحس الإنسانى ولكنه مع هذا يظل متعلقاً لمستوى أعلى .

هذا المستوى الأعلى يربط الإنسان بالكون وما وراء الطبيعة ، فلا يصبح وجوده معزولاً عن المعنى الكلى للكون .

ولا يخفى ما فى هذا الإتجاه نحو مرحلة أعلى من إنتقال من التفكير الأخلاقى إلى التفكير الدينى . فالكائن الأخلاقى (الإنسان) يسعى هنا للإتجاه نحو المطلق أو الحق الكونى ، أو الله ، ليكون لسلوكه معنى كلياً ، فهو يصنع الخير مثل لاعب الكمان فى أوركسترا مكون من عشرات العازفين ، يقودهم المؤلف أو الكونديكتور الذى وضع اللحن المتناسق الجميل، وقد أوضح كولبرج أنه عندما يرى الإنسان نفسه ضعيفاً محدوداً عاجزاً فى مواجهة الموت ، فإنه يصاب باليأس وضياع المعنى، ويبحث عن غير المحدود الذى يدفع حسه الأخلاقى إلى فوق . فهو فى المرحلة السابعة يفعل الخير لا من أجل الخير نفسه (كما فى المرحلة السادسة) بل من أجل الله أو الحق أو المطلق الكونى الذى

خلق الخير والجمال ، وهو يفعل ذلك بالاتحاد بهذا الكائن الأعلى بخبرة سرية فائقة ، تعطية ليس فقط الحكمة فى إصدار أحكاماً أخلاقية، بل تعطيه أيضاً الكشف والإلهام المباشر للسلوك بالكمال .

وبهذا المفهوم نقترب قليلاً من المفهوم الكتابى ، وهنا تثار مناقشة حامية بين الدارسون لعلاقة الأخلاق بالدين ، وهو ما سنوليه إهتمامنا الآن .

ما هى علاقة الدين بالأخلاق ؟

* هل تستطيع النعمة أن تغير الشخصية ، وتحل العقد النفسية ؟

* هل يستطيع التدين أن يحدد سلوك الإنسان أخلاقياً ؟

* ماذا عن زمن التوبة ، وتأثير التغير الدينى المتأخر على الطباع والسلوك ؟

درس العلاقة بين الأخلاق والدين علماء كثيرون ، منهم كولبرج ومساعديه ومنهم أيضاً فاولر Fowler صاحب نظرية النمو الإيمانى Faith development الذى سنعرض أفكاره فى الباب الأخير من الكتاب،

وآخرين . على أن الآراء جاءت متباينة فى هذا الموضوع ، بل وحتى التجارب العملية التى قام بها هؤلاء العلماء جاءت بنتائج متضاربة تحتاج إلى تفسير ، دون أن تقدم دليلاً قاطعاً يرجح رأياً على الآخر ، ولا زال البحث مستمراً فى هذا الميدان الشيق الجديد . وفيما يلى ملخص لبعض الآراء نطرحها للمناقشة مع أخوتنا الخدام ، متوقعين ومنتظرين المزيد من المباحثات والدراسات .

الرأى الأول : (النمو المتوازى) للدين علاقة مباشرة بالنمو الخلقى .

ويتزعمه فاولر الذى أجرى تجاربه ووجد فيها إرتباطاً بين المستوى الروحى والمستوى الأخلاقى يصل إلى ٧٥ ٪ .

فالإنسان الروحى يحكم فى كل شئ ولا يحكم فيه من أحد ، ومستواه الخلقى أعلى من مستوى الإنسان الطبيعى ، أو غير المتدين ، أو على الأقل فهو مطالب بهذا المستوى الأعلى .

وعلى الرغم من وضوح الشواهد الكتابية فى هذا الصدد ، فإن العقبة تقع فى تحديد (من هو الإنسان الروحى ؟) ، وهل أى شخص متدين يعتبر (روحياً) بالدرجة التى تسمح له بالسمو الخلقى الذى يسمو به عن أقرانه ؟

كذلك فإن المشاهدة العملية ترينا خداماً بل مكرسين يقلون فى مستواهم السلوكى عن العلمانيين وغير الخدام . وكثيراً ما نجد وسط غير المسيحيين درراً تتألق وسط الظلام ، كغاندى الذى قال ﴿ إنى أحب المسيحية واكره المسيحيين ﴾ والواقع أن أخلاق غاندى كانت تفوق أخلاق المستعمر البريطانى ، فبينما كان غاندى ينادى بالعدالة والسلام ، كان المستعمر الإنجليزى يفرق بين البيض والسود ، حتى أن المبشرين الانجليز قد خصصوا كنائس للبيض دون السود وهم لا زالوا يبشرون !

ويعزو كولبرج الإرتباط بين المستوى السلوكى والإيمانى الذى وجده فاولر فى نتائجه التجريبيه إلى شمول تعريف فاولر للإيمان بحيث جعله يتضمن السلوك العملى فى داخله .

بمعنى أن هذه الدراسات احتوت على خطأ التعميم فى التعريفات ، فجاء الإرتباط بين الأخلاق والدين بسبب عدم دقة السؤال الذى لم يتمكن من تحديد الفارق بين الإيمان والسلوك .

الراي الثاني : (النمو المنفصل) ليس للدين علاقة مباشرة بالنمو الخلقى ..

يرى كولبرج أن النمو الخلقى يسبق النمو الدينى ويمهد له ، فالإنسان يترقى فى مدارج

الأخلاق بدافع من قوانين النمو الطبيعي التي أكتشفها علم نفس النمو (بياجيه) ، ثم يأتي هذا النمو الخلقي لدعم النمو الديني ويعتبر أساساً له ولكولبرج جملة مشهورة إذ يقول :

« النمو الأخلاقي لازم للنمو الديني ولكنه غير كاف له » . بمعنى أن التدين يتطلب نمواً أخلاقياً كأمر أساسي ، ولكن يتطلب أكثر من النمو الأخلاقي ، فهو يقتضي وجود عقيدة حية وبيئة روحية ودافع داخلي ... الخ .

وإليك نتائج بعض التجارب الميدانية التي قد تعزز رأى كولبرج :

١ـ سئلت مجموعة متفرقة من مواطني القارة الأمريكية إذا ما كانت خلقياتهم نابعة من عقيدتهم ، فأجابت الأغلبية بنعم . كان هذا إحساس الأغلبية الشخصي بالقضية . أما موضوعياً فقد أتت النتائج مختلفة كما يتضح فيما يلي :

٢ـ أجريت تجارب عام ١٩٢٨ - ١٩٣٠ بواسطة هارتشورن وماى Hartshorn-May تلتها تجارب أخرى نفت أى علاقة ظاهرة بين الأمانة وبين درجة الإشتراك فى التربية الدينية وكميتها .

٣ـ فى البلاد الإلحادية مثل الإتحاد السوفيتي تقل حوادث السرقة ، والخطف وانحراف الشباب عن بلاد دينية مثل الشرق الأوسط المسلم ، والمكسيك وإيطاليا المسيحيتين .

ويحاول كولبرج أن يجد تفسيراً لعدم النمو الخلقي لبعض المتدينين بدرجة ممتازة عن غيرهم بأن يقول : « إنى لا أنفى العلاقة

تماماً بين الدين والأخلاق ، لكن التربية الدينية أساساً على تعليم العقيدة وليس تعليم السلوك . مما يحرم روادها من السبق والتفوق في هذا المجال ﴾ .

وسنعرض الآن الدراسات التي أمضى فيها كولبرج ومعاونوه سنوات ، في القارة الأمريكية وتركيا واسرائيل والشرق الأدنى ، والتي تدين بالترتيب بالمسيحية والإسلام واليهودية والهندوسية والبوذية ، وقد لاحظ كولبرج أن رقي النظام الإجتماعي يؤثر بدرجة واضحة على المستوى الخلقي للشعب أكثر مما تؤثر العقيدة الدينية . فإذا سادت العدالة أو الحرية ، أو فرض النظام على الكل ينشأ الأفراد في مجتمع يساعدهم على الفضيلة . أما إن سادت الفوضى والسلب والنهب ، وغابت القيم والقوانين ضعفت الأخلاق ، ولم يدفع الدين أولئك الناشئين في بيئة سياسية وأسرية ومدرسية هابطة . فسوء أخلاق المدرس أوالأم أو رجل البوليس لم يعادله نمو المستوى الخلقي لخادم الدين الذي يحتك به المرء فترة أقل بكثير من الشخصيات السابق ذكرها ، والذي يتأمل بدقة الرسومات البيانية الآتية يجد أن البلاد الأقل رقياً يتصرف معظم مواطنيها بناءً على المرحلة الأولى أو الثانية ، وتظل هذه الأغلبية تتصرف هكذا حتى سن ما بعد المراهقة . أما في الولايات المتحدة فعند بلوغ سن السادسة عشر يصل عدد كبير من المواطنين إلى مستوى الأخلاق الرابعة أو الخامسة ، بينما يقل بدرجة ملحوظة عدد الذين يتصرفون بطريقة أنانية في المرحلة الأولى والثانية .

ومرة أخرى نريد أن نلاحظ كيف

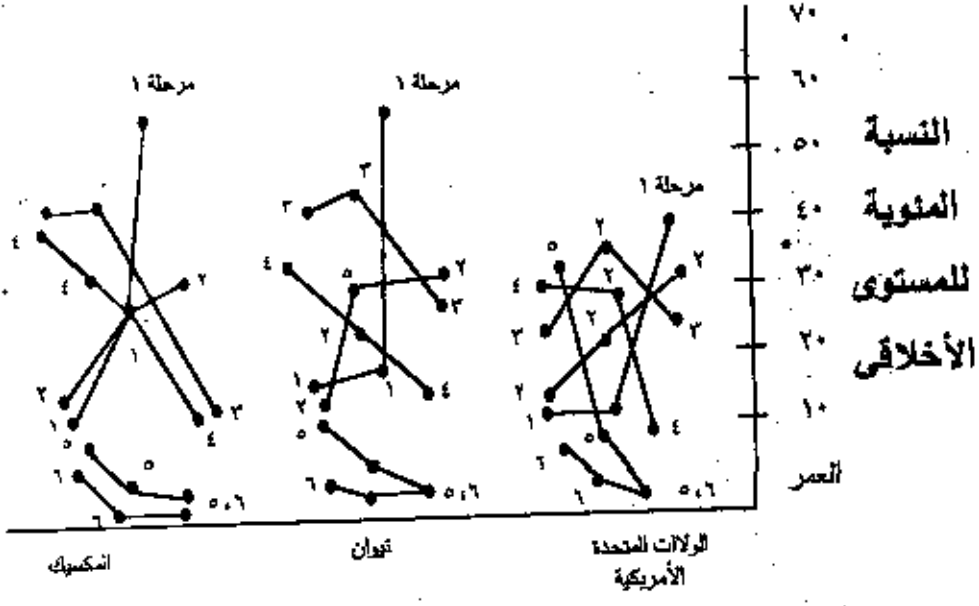

يتصرف الأغلبية في البلاد غير الراقية بمستوى خلقي منخفض نسبياً وكيف تفشل البيئة غير المتحضرة أو المعزولة جغرافياً عن ترقية الأخلاق .

رأينا أن النمو الأخلاقي المعتاد يجب أن يتجاوز مراحل الأنانية ١ ، ٢ والنفعية ٣ ، ٤ حتى يصل في سن ١٦ إلى الأخلاق المثالية المبنية على حرية الآخرين وحقوقهم ، وإحترام المبادئ في حد ذاتها في الولايات المتحدة يصل حوالي ٥٥٪ من المفحوصين إلى الأخلاق الراقية نوعاً ما ولكن الذين يصلون إلى الأخلاق المثالية (مرحلة ٦) لا يتعدون ٨٪ .

قارن هذه الحالة بحالة البلاد النامية في تيوان والمكسيك تجد أن العدد الأكبر يتصرفون بمستوى ٣ ، ٤ وهو مستوى الأخلاق التقليدية ، أما الذين يصلون إلى مستوى ٥ أو ٦ فهم أقل . وفي رأينا أن الدين والأخلاق لا ينفصلان ، ولكن النمو الروحي يسبقه ويمهد له نحو الأخلاق . وتستطيع النعمة أن تغير الاخلاقيات ولكن بعد شئ من الجهاد والمثابرة والتعهد الواعي للسلوك . لذلك فإن تدريس الأخلاق ونموها وغرسها منذ الصغر أمر هام ، حتى يأتي عمل النعمة على قاعدة سليمة وضمير متين وسلوك راق وقدرة على صنع القرار الأخلاقي .

في تركيا لم يصل أحد إلى المستوى الرابع ولعل هذا بسبب علمانية الدولة هناك وعدم وجود القيم الدينية . وهذا يثبت وجود شئ من العلاقة بين الأخلاق الراقية والقيم الدينية .

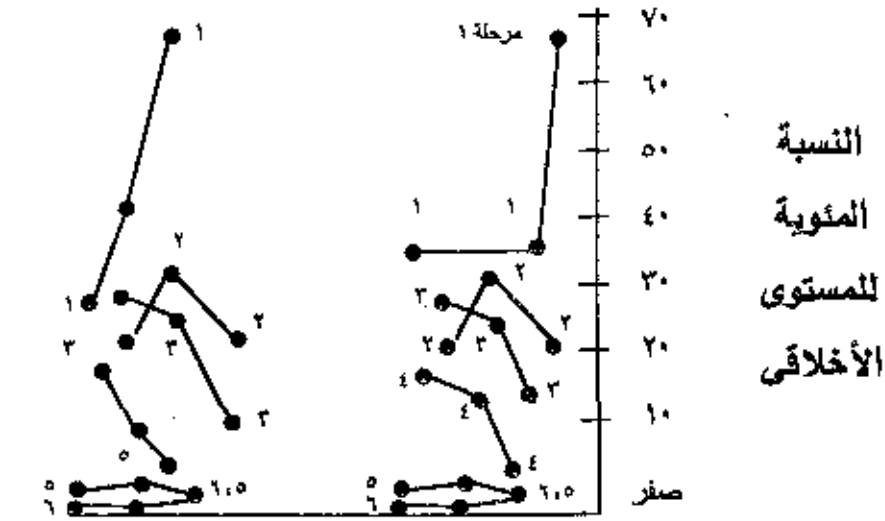

نقد نظرية كولبرج

تعرضت نظرية كولبرج - رغم رسوخها - إلى عدة إعتراضات جوهرية نجملها فيما يلى :

١ - تركيزها على العقل كمركز للسلوك وإهمال دور العاطفة والرغبات ، وكأن السلوك الأخلاقى ينشأ من العقيدة والإقتناع بالمبدأ فقط . وهذا عكس المشاهدة ، وعكس ما أدلت به التجارب الميدانية ، فالذين يصدرون حكماً أخلاقياً راقياً بعقولهم نشاهدهم يفعلون أشياءاً لا تدل على نفس المستوى الأخلاقى الذى يمليه عليهم عقلهم .

٢ - إهمالها لدراسة العادات السلوكية وأثرها على الأخلاق ، وكذلك لمفاهيم المكافأة والعقاب وتغيير السلوك والتشكيل التربوى.

٣ - إهمالها لمفهوم القدوة ، وتأثير البيئة على السلوك وتركيزها على الحكم الأخلاقى العقلى الذى يدلى به الشخص .

٤ - إتجاهها نحو النمو الأخلاقى الذى يصل بالفرد إلى تغليب الأفكار المجردة عن العدالة والنظام ، ويعتبر إرضاء الجماعة مرحلة أقل من مرحلة الضمير الشخصى . وهذه المفاهيم تناسب بعض المجتمعات دون غيرها ، فالمجتمع الشرقى أو القبلى يعتبر القيم العامة أهم من القيم الشخصية والفردية .

٥ - مفهوم العدالة من وجهتها السياسية والإجتماعية يعتبر هدفاً غير كاف للنمو الخلقى .

٦ - أغفلت النظرية تأثير العبادة والتوبة وعمل النعمة ، والجانب الدينى عموماً وتأثيره على سلوك الإنسان .

ومهما يكن من شئ - فإن هذا النقد لا يقلل من أهمية النظرية ، وفائدتها فى الدراسة المتعمقة لعلم الأخلاق والتربية السلوكية .

خـــلاصـــة

تناقشنا فى هذا الفصل ستة مراحل للنمو الأخلاقى بحسب نظرية العالم الكبير لورانس كولبرج وهى :

١) مرحلة الخوف من العقوبة .
٢) مرحلة المنفعة الشخصية (أو تبادل المنفعة) .
٣) مرحلة البحث عن المديح أو تجنب الذم (ولد شاطر ، بنت حلوة) .
٤) مرحلة حفظ النظام الإجتماعى (أو نمو الضمير الجماعى) .
٥) مرحلة العقد الإجتماعى (أو العرف) .
٦) مرحلة المبادئ (الأخلاق المثالية) أو مرحلة الوعى بالعدالة .

وحاولنا تطبيق هذه المراحل على المترددين على الكنيسة ثم عرضنا لرأيين :

أحدهما يقول أن الأخلاق والدين يسيران فى خطين منفصلين لكنهما متوازيان .

ويقول الآخر أن هناك علاقة وثيقة بين النمو الأخلاقى والنمو الدينى .

وكان رأينا أن النمو الأخلاقى لازم للنمو الدينى ..

أما الممارسات الدينية وحدها فلا تكفى للنمو الأخلاقى ..

أسئلة للمراجعة

١، عـــرف :

* أخلاق السعادة .
* مرحلة الأخلاق المثالية .
* الأخلاق الإعتيادية .

٢، لخـــص :

* مستويات الأخلاق فى ثلاثة جمل قصيرة .

٣، علـــق :

* على علاقة الأخلاق بالدين من وجهة نظرك .
* على قول رابعة العدوية :

« إن كنت أعبدك طمعاً فى جنة ..... فأحرمنى منها ،
وإن كنت أعبدك خوفاً من نارك ..... فأدخلنى فيها ،
أحبك حبين .. حب الهوى ، وحب لأنك أهل لـــذاك ،
فأما الذى هو حب الهوى .. فشغلى بذكرك عن ســـواك ،
وأما الذى هو أنت أهل له .. فكشفك لى الحجب حتى أراك ،
فلا الحمد لى فى ذا وذاك .. ولكنى لك الحمد فى ذا وذاك »

٤، طبـــق :

* نظرية كولبرج على منهج السنة الرابعة الإبتدائية ،
* المســـتوى الذى يقوم المـــدرس بتدريســـه ،
* وهل هو يعلو قليلاً على المستوى الأخلاقى للطفل .

٥، اختر الاجابة الصحيحة : ضع (صح) أو (خطأ)

* كلما زاد تقدم المجتمع ارتقى المستوى الخلقى .
* البلاد المسيحية أكثر نمواً من الناحية الخلقية عن البلاد الغير مسيحية .
* المعضلات طريقة تعليمية قد تزيد بليلة الدارسين .

الفصل الثانى

الحق يحرركم

كيف ندرس الأخلاقيات ؟
تطبيقات عملية على التربية المسيحية

كيف نستفيد من نظرية كولبرج فى علم الأخلاق ، التى تواكب كثيراً ما حثنا عليه الكتاب المقدس للنمو الروحى ؟

هل هناك طرق عملية لغرس الأخلاقيات ؟ وكيف ندرب أنفسنا بإستمرار على إستخدام هذه الطرق ؟

هذا الفصل يناقش :

صورة شخصية

مثال

فكر معـــنا ..

* كيف ندرس الأخلاق ؟
* ملاحظات عامة على التربية الأخلاقية
* (١٤) طريقة عملية للتربية الأخلاقية :

١ـ مزيد من المعضلات الكولبرجية .
٢ـ طريقة توليد الفكر .
٣ـ طريقة ليسلاى Leslie للمناقشات الأخلاقية .
٤ـ طريقة بطاقة التقييم .
٥ـ طريقة جيروم .
٦ـ طريقة مقارنة ومقابلة القيم .
٧ـ طريقة البحث عن القيم المتضاربة .
٨ـ طريقة تقييم النتائج .
٩ـ طريقة دراسة البدائل .
١٠ـ طريقة ترتيب الأولويات .
١١ـ طريقة المشاركة الوجدانية .
١٢ـ طريقة التوجيهات الشخصية .
١٣ـ طريقة التصويت والإستفتاءات .
١٤ـ طريقة لعب الأدوار .

خلاصة ..

أسئلة للمراجعة ..

صورة شخصية

منال

حتى الأمس ـ الأمس فقط لم يكن الكون كله يسع قلب منال الفرح بالتسبيح والترانيم الجميلة، التى تستمتع كثيراً بتعلمها ، وترددها ضمن فريق كورال كنيستها ، والتى تعتبر من أبرز أعضائه منذ بدأت البروفات لمدة عدة أشهر مضت تمهيداً للحفل الختامى ... والمقرر له أن يكون غداً .. هذا الحفل الختامى الذى كانت منال ، مثل بقية أفراد أسرتها وبقية أعضاء الكورال تنتظره . كانت منال منذ أيام مضت تتخيل نفسها وكيف يكون أداؤها خلال الحفل ، وكيف يمكن أن يكون ذلك صورة بسيطة تعبر بها عن حبها للمسيح أثناء التسبيح .. واليوم دعتها صديقتها سيلفيا إلى عيد ميلادها والذى سيكون توقيته فى نفس توقيت الحفل الختامى .

وفى كل مرة تدعوها سيلفيا كانت منال تطير من الفرحة من أجل عيد ميلاد صديقتها ، وهى تعلم أنها الصديقة الوحيدة لسيلفيا القادرة على إضفاء روح البهجة والفرح فى الحفل .. ولكن هذه المرة فقط كان الأمر مختلفاً ، فالحق يقال .. إذ أنه أصبح أمامها أحد إختيارين إما الذهاب إلى عيد ميلاد سيلفيا أو حضور الحفل الختامى لفريق التسبيح .

عند هذا الحد من الحيرة داخل نفس منال ، كانت الأم هى الملجأ ، وبعد أن أخبرت منال والدتها بالأمر كله قالت لها الأم فى حنان :

* فى ذهابك للحفل الخدامى تستمتعين بالتسبيح ونتمتع جميعاً معك ، وفى ذهابك لعيد ميلاد صديقتك فيه البهجة التى تستشعرها ميلفيا ونستشفها منها .

* ولكنى أريد أن أحضر الحفل الخدامى .

* نعم أعلم كم أنت منتظرة هذا اليوم .

* وأريد أن أهنئ صديقتى وأسعدها .

* وكم يكون هذا جميلاً أيضاً .

* إذن كيف اختار .. ؟

* فى الأمرين متعة .. وفى أحدهما عطاء أيضاً .

وهنا كان على ملال أن تستغرق فى الفكر من أجل أن تختار، إلا أنها لم تستطيع مقاومة النوم الذى غالب أجفانها .

فكر معنا

* عرف الأخلاق ، وما هو الفرق بين الأخلاقيات والتدين ؟
* هل واجهت موقفاً تحتاج فيه إلى إختيار بين نوعين من الخير ، أو نوعين من الشر ؟
* سألك إبنك سؤالاً : (هل أحضر حفل عيد الميلاد أم أبدأ صيامى ؟)

حاول أن تختار إجابة غير تقليدية تساعده على إصدار حكماً أخلاقياً دون إملاء لرأيك الخاص .

هذا الفصل يقدم لك عزيزى القارئ طرقاً عملية مفيدة تساعدك على الوصول بالمخدومين إلى المستوى الأخلاقى الذى نتمناه .

بالإضافة إلى هذا ، سوف تقابل فى هذا الفصل تدريبات عملية تخلط فيها بين نظريات النمو الأخلاقى والمشكلات اليومية التى يمكن أن تواجه مخدوميك .

إنها طرق قوية وفعالة ومختبرة ، استخدمها العلم الحديث ، كما استخدمها الأقدمون للوقوف على حل لمعضلة الأخلاق فى حياة الإنسان .

وقد قمنا فى وسط ونهاية هذا الفصل بوضع نماذج جلية من الكتاب المقدس توضح لنا بطريقة عملية كيفية تطبيق هذه النظريات العلمية فى إطار روحى مستوحى من الكتاب المقدس .

كيف تدرس الأخلاقيات

تختص أبحاث كولبرج بالجانب النظرى من علم الأخلاق ، وهو الخاص بإصدار الأحكام الأخلاقية وتمييز الصواب عن الخطأ ، وهنا ينشأ سؤال : هل إذا عرفنا الصواب سوف نسلك حتماً فيه ؟ وهل إذا إقتنعنا بالإتجاه نحو هدف معين سيكون هذا كافياً لأن نتجه بالفعل نحو هذا الهدف بطريقة تلقائية ؟

الإجابة تختص بقوة الإرادة ..

فالحكم العقلى لأهمية قيمة أو مبدأ معين لا يكفى وحده لإتمام السلوك ، فهناك الدافع على إتمام العمل ، والمكافأة والعقاب ، والتدريب والتعود والتقويم والمتابعة . وعلى المربين إستخدام كل هذه الوسائل لتعديل السلوك ، ولكننا فى هذا الجزء سنكتفى بمساعدة الطالب على حكم أخلاقى ثابت يكون بمثابة ركيزة للعمل الروحى . فالإقتناع بصواب الفكرة يعتبر الحافز الأول على تنفيذها وإن لم يكن ضماناً لذلك .

وقد وجد كولبرج فى أبحاثه التطبيقية أن هناك جدوى كبرى للمناقشات التهذيبية التى أجراها على التلاميذ ، حتى أن التقارير أثبتت إنتقالهم من مرحلة أخلاقية إلى أخرى أعلى بعد المناقشات . ونعود فنقول مرة أخرى أن هذا لا يعنى أن التلاميذ سيسلكون بحسب المستوى الذى وصلوا إليه ذهنياً . ولكن هذه التجارب تعتبر مكسباً علمياً وعملياً للمهتمين

بالتربية الأخلاقية ، وبالفعل كان لهذه الأبحاث صدى كبيرفى العالم كله ، حيث بدأ المربون أدراك أهمية المناقشات التهذيبية واستخدامها لتنشئة جيل فاضل ، كذلك لتطوير مستوى الحكم الأخلاقى لدى البالغين ، وبالتالى الوصول إلى مجتمع مبنى على العدالة والحق . كذلك أمكن إستخدام هذه الأبحاث في وضع برامج التربية الدينية لتحفيزالدارسين على السلوك الروحى بحسب المبادئ والقيم الدينية العليا .

وفى الصفحات التالية :

سوف نسير معاً - عزيزى القارئ - فى دراسة للطرق الممكنة للتربية الأخلاقية وتطبيقها على دروس الدين بحيث نصل إلى أكبر فاعلية ممكنة .

وسوف نقدم أولاً بعض الملاحظات العامة ، ونتبعها بتفصيل لطرق التربية الأخلاقية .

ملاحظات عامة على التربية الاخلاقية :

هناك عدة مداخل مستخدمة حالياً فى التربية الأخلاقية ، ولكن بعضها أقل فاعلية من الأخرى :

مداخل تقليدية للتربية الأخلاقية :

- يستخدم معظم المربيين والوعاظ والخدام وأولياء الأمور بعض المداخل قليلة الفاعلية لتدريس آداب السلوك ، ومن هذه الأساليب :

١) **تلقين الصواب والخطأ .**

٢) **الحرية الزائدة .**

٣) **نموذج البطل .**

(١) أسلوب تلقين الصواب والخطأ في التربية الأخلاقية إسلوب شائع يعتمد علي جملة يقولها الكبار (أنا أكبر منك وأعرف ما هو المناسب لك ، فإذا استمعت لصوت الخبرة سوف تكسب) . ورغم فائدة هذا المدخل من الناحية العملية إلا أن فيه فرضا لقيم الكبار على الجيل الجديد بطريقة لا تساعده على الإستقلال وتحمل المسئولية وإتخاذ القرارات بطريقة ناضجة .

كما أن هناك مشكلة أخرى تتعلق بأسلوب « تلقين الصواب والخطأ » ، ممكن أن نسميها مشكلة الرياء ، والرياء يقع فيه الكبار والصغار . فالكبير حين يحدد الصواب والخطأ

ولا يعمل به يقع فى مشكلة ، ولكنه يستمر بأن يقول للصغير (إفعل ما أقوله لك وليس ما أفعله أنا) ، كذلك يقع الصغير فى الرياء حين يتصرف بطريقتين مختلفتين ، فى وجود أو عدم وجود الكبار ، كأن يكون مهذباً فى البيت فظاً فى المدرسة .

(٢) أما أسلوب «الحرية الزائدة» فهو مدخل آخر أكثر شيوعاً فى الغرب منه فى الشرق ، حين يقول الكبير للصغار ، أو تقول الدولة للمواطنين ، أنه ليس هناك حد فاصل بين الصواب والخطأ ، فما تراه صواباً لنفسك إفعله ، فالخبرة الشخصية هى خير معلم ، وعليك أن تكتشف بنفسك طريقك الأخلاقى ، ما لم يتعارض مع حرية الآخرين فى إختيار سلوكهم أيضاً .

وهذه الحرية الزائدة ليست دائماً منهجاً مفيداً ، لأنها لا تزود الشباب بتوجيهات عمليه فى بحثهم عن القيم ، وتتركهم فريسه للتجربة والخطأ مما يطيل فترة التدريب .

(٣) أما نموذج « البطل » فهو النموذج الثالث الشائع فى التطبيع الإجتماعى والأخلاقى ، فمعظم الشباب والكبار لديهم أبطال أو نماذج يعجبون بها فى الرياضة والسياسة والموسيقى والدين والسينما والتليفزيون ، ويأتى سلوكهم متطبعاً بقيم هؤلاء الأبطال ، وأحياناً أخرى تقليداً منسوخاً لآدائهم .

والمشكلة فى هذا المدخل أن نموذج البطل لا يدوم ، فللأبطال أخطاؤهم ، فهم ينكشفون بعد قليل ، فيصاب المعجبون بهم بخيبة أمل بعد وقت يقصر أو يطول .

رأينا فيما سبق قصور هذه الطرق الثلاثة وهذه الطرق الشائعة فى التربية الأخلاقية فى مجال تربية النشء والشباب والقيادات . وقبل أن ندخل فى تفصيل للطرق الأكثر فاعلية ندلى هنا ببعض الملاحظات الإيجابية العامة :

ا ـ أهمية التشخيص :

على المربى وخاصة بعد دراسته لنظرية كولبرج أن يحاول تشخيص سلوك من حوله، بناءاً على مستواهم الأخلاقى . وليس معنى ذلك أن يدينهم أو يحكم عليهم بالتدنى الخلقى، إنما عليه أن يعرف بدقة كيف يفكرون وما هى دوافعهم ، ويمكن الوصول إلى ذلك بطريقة عامة بتقسيم الناس إلى ثلاث مستويات (آدم ، وموسى ، والمسيح) أو(الأنانية ، النفعية ، البذل) وهى تتطبق مع المستويات الثلاثة لكولبرج وهى مستوى (الأخلاق دون الإعتيادية ـ الأخلاق الإعتيادية والأخلاق فوق الإعتيادية) .

ومن الممكن ، مع نمو خبرة المربى ، أن يتمكن من تحديد المستوى الذى وصل إليه من حوله بحسب المراحل الستة لكولبرج فهذا يتصرف بدافع الخوف (مرحلة ١،) أو حب المديح (مرحلة ٣،) .. الخ .

٣ ـ أهمية التنويع :

من الهام ليس فقط أن نشخص المستوى الأخلاقى للمتابعين ، بل أن نعطيهم أيضاً منهجاً متدرجاً للنمو ، فلا نقفز من مرحلة (١) إلى مرحلة (٦) ، فنتكلم الطفل عن التسامح ، أو المدمن عن القداسة ، أو المتأنب عن التكريس ، دون المرور بالمراحل الوسطى .

وقد تعجب الكثيرون حين وجدوا عملاق التربية الأخلاقية (كولبرج) ينادى واضعى البرامج فى المجتمع الأمريكى بالهبوط بمستوى التدريس الأخلاقى إلى المرحلة الخامسة أو الرابعة وليس السادسة ، فحين وجد كولبرج أن معظم الأمريكيين يتصرفون بطريقة نفعية (مرحلة ٣ ، ٤) فإنه ينادى بأنه من غير المناسب أن نقفز للمرحلة السادسة دون تمهيد ، فهو يرى أن المستوى الخامس يمكن استيعابه بصورة أكبر وهكذا يأخذ بين الدارسين حتى يصل بهم إلى مستوى الأخلاق المثالية إن أمكن .

٢ ـ أهمية المناخ :

إن أى تدريس للعقيدة أو المبادئ لا يؤازره مناخ نقى ـ يعتبر بمثابة وسيلة إيضاح للمادة التى نقوم بتدريسها ـ يتشبع بالبلبلة والاضطراب .. حيث أن المناخ النقى يعتبر المؤثر الأول فى تدريس السلوكيات المسيحية التى تنتقل بالإشعاع أكثر منها بالتلقين ، وعلى المسؤلين فى الكنائس والمؤسسات الخيرية التدقيق فى إختيار الخدام والعاملين والمسئولين بحيث يكونوا صورة عملية واضحة للشعار الذى تتبناه هذه الجماعة .

فإذا أردنا أن نعلم الطفل عدم الخوف،

ولم نحيطه بمناخ يوحى بالأمان ويساعده على المحاولة دون تهديد مستمر بالعقوبة ، فإن المناخ سيكون له تأثير على إحباط النمو الأخلاقى .

وقد أجرى كولبرج تجربتين توضحان أثر المناخ على التعليم الأخلاقى :

١ ـ التجربة الأولى قام بها فى المدرسة الثانوية إذ جعل التلاميذ يشاركون فى الإدارة الديمقراطية للمدرسة ، وقد استطاع إثبات الفرض الذى يقول : أن مزيداً من المشاركة تساعد على نمو الحس الأخلاقى والإلتزام الأدبى والرغبة فى السلوك السليم .

٢ ـ أما التجربة الثانية فكانت بتقييم المناخ الأخلاقى لرواد أحد السجون ، وقد وجد كولبرج كما توقع أن المستوى الأخلاقى فى السجن منخفض ، والعلاقات بين النزلاء لا تزيد عن كونها نفعية تبادلية . واستنتج بذلك أن الذين يخرجون من السجن لن يتمكنوا من إصلاح ماضيهم لنمو المناخ الذى وضعوا فيه .

٣ ـ ضرورة إستخراج القيم :

نعنى بإستخراج القيم Value Clarification مساعدة التلميذ على تقييم المواقف والسلوك والأشياء للوصول إلى حكم أخلاقى صائب ، وهى متضمنة فى جميع الطرق التى سوف نناقشها . فللقيمة أهمية محورية فى ضبط المعيار الأخلاقى ، فهى بمثابة الأوزان التى توضع فى إحدى كفتى الميزان .

ومثال لذلك فى معضلة هينز : إذا وضع المجيب الحياة فى كفة الميزان على أنها « القيمة العظمى » ، فإنه سيصل لحكم أخلاقى معين ، فإنقاذ زوجته أهم من أموال الطبيب ، أما إذا وضع الأمانة فى قيمة أعلى من الحياة ، فإنه سيظل أميناً حتى الموت ولن يسرق الدواء .

وممكن تعريف القيمة على أنها مقياس الأهمية التى نضعها لتقييم عمل أو شئ أو مبدأ ما .

والقيم ليست أشياء محددة ، ولكنها معايير للسلوك ، نحدد بها مقدار إستحقاق الشئ أو جماله أو أصالته أو صلاحيته أو تمشيه مع الخير الأعظم . فالقيم إذا لا تقوم بذاتها إنما نجدها متضمنة فى أعمال الناس وأقوالهم وأحكامهم ، فنستطيع أن نستنتج على سبيل المثال أن الشخص الذى يأتى دائماً فى ميعاده يضع قيمة عليا للوقت فى حياته .

والقيم أيضاً جانب وجدانى ، فالقيم ليست أفكار محددة عن أهمية شئ ما فى الحياة ، إنما هى أيضاً شعور يدفعنا نحو هذا الشئ ، فنحن نحب الحياة أو نكره الظلم بطريقة قلبية ونقترب أو نبتعد بقدر إنفعالنا بالقيم المختلفة .

فالقيمة إذاً : إقتناع بجدوى أو عدم جدوى فكرة معينة ، مع محبة أو كراهية شديدة لها .

وهكذا فقد لاحظنا :

(١) أن القيم تأتي دائماً متضمنة في الأقوال والأفعال والمواقف .

(٢) القيم دوافع قوية على السلوك ، رغم أنها غير منصح عنها ، وعلينا أن نساعد التلميذ على تحديد قيمة وترتيب أولوياته ، ومعرفة السبب الذى من أجله يصدر الأحكام أو المبادئ التى يرتكز عليها ، ليعرف الصواب أو يختار بين المتشابهات ، فكلما فعلنا هذا ساعدناه على النمو الأخلاقى والدينى .

فعندما ندرس التلميذ أن شيئاً ما أو عملاً ما أو فكرة ما جيدة أو سيئة دون أن نقول له السبب في هذا ، فإننا نضره ولا نفيده ، وحين نقول له أن هذه الفكرة أو السلوك جيد أو ردئ لأننا نقول هذا له ، ولأن لنا السلطة أن نقرر هذا له ، فنحن نمنعه من التفكير الأخلاقى .

ونحن نريد للتلميذ أن :

* يفكر ويقوم ،
* يدرس الميزات والعيوب .
* وأسباب الحكم الأخلاقى ،
* يتنبأ بالتبعات ،
* يتخذ القرارات ،
* ويتحمل النتائج .

فكيف نصل إلى هذا ؟

الحل هو المناقشة .. المناقشة .. المناقشة

وفيما يلى سندرس بعض الطرق العملية للمناقشات التهذيبية .

٤ طريقة عملية للتربية الأخلاقية :

سنعرض فيما يلى بعض الطرق الفعالة للتربية الأخلاقية التى يمكن لخدام التربية الدينية إستخدامها لتحقيق أهدافهم ونمو سايقيهم :

أولاً : مزيد من المعضلات .

ثانياً : طريقة توليد الفكر .

ثالثاً : طريقة لسلاى Leslie للمناقشات الأخلاقية .

رابعاً : طريقة بطاقة التقييم .

خامساً : طريقة «جيروم» .

سادساً : طريقة مقارنة ومقابلة القيم .

سابعاً : طريقة البحث عن القيم المتصارعة .

ثامناً : طريقة تقييم النتائج والتوصيات .

تاسعاً : طريقة دراسة البدائل .

عاشراً : طريقة ترتيب الأولويات .

حادى عشر : طريقة المشاركة الوجدانية .

ثانى عشر : طريقة التوجيهات الشخصية .

ثالث عشر : طريقة التصويت أو الإستفتاءات

رابع عشر : طريقة لعب الأدوار .

أولاً مزيد من المعضلات الكولبرجية :

سنعرض فيما يلى بعض المعضلات الأخرى التى استخدمها كولبرج فى أبحاثه، والتى يمكن للخادم أن يستخدمها كما هى فى مناقشاته مع المستويات المختلفة للمخدومين ، وبعد عرض هذه المعضلات سنقدم للخادم تدريباً بحيث يستطيع تأليف هذه المعضلات بنفسه :

معضلة رقم ٢ : (تابع قصة هينز)

كسر (هينز) المخزن وسرق الدواء وأعطاه لزوجته ، وفى صحف اليوم التالى نشر تقرير عن السرقة ضد مجهول ، وقرأ مستر براون ضابط البوليس ، والذى يعرف هينز ، ما نشر بالصحف . وقد تذكر مستر براون أنه رأى هينز يجرى خارجاً من المخزن فأدرك أنه هو الذى سرق الدواء . ومستر براون يتساءل ترى هل يقوم بالإبلاغ عن (هينز) .

- هل يجب أن يبلغ مستر براون أن هينز هو الذى قام بالسرقة ؟

- نعم أم لا ؟ ولماذا ؟

- افترض أن مستر براون كان صديقاً حميماً لهينز . هل كان سيقوم بالإبلاغ عنه ؟

- نعم أم لا ؟ ولماذا ؟

معضلة رقم ٣ : (تابع قصة هينز)

أبلغ مستر براون عن هينز وقبض عليه وقدم للمحاكمة . اختير أحد المحلفين ووظيفته هى معرفة ما إذا كان هذا الشخص برئ أو مذنب ، وقد وجد أن هينز مذنباً وجاء دور

القاضى فى تحديد العقوبة .

- هل سيعطى هينز عقوبة أم سيطلق سراحه ؟

- لم يعد هذا هو الأفضل ؟

- وبالنظر إلى المجتمع ، والتفكير طبقاً لقوانينه ، هل يجب أن يعاقب الخارجون عن القانون ؟

- نعم أم لا ؟ ولماذا ؟

- كيف يمكن تطبيق هذا على القرار الذى يجب أن يتخذه القاضى ؟

- لقد فعل هينز ما أملاه عليه ضميره حين سرق الدواء . فهل يجب أن يعاقب ؟ الخارج عن القانون إذا تصرف مراعياً لضميره ؟

نعم أم لا ؟ ولماذا ؟

معضلة جودى

(جودى) فتاه فى الثانية عشرة من عمرها ، وعدتها والدتها بأن تسمح لها بالذهاب إلى حفل موسيقى سيقام فى مدينتهم إذا هى استطاعت أن تدخر من مصروفها شيئاً لشراء التذكرة ، وقد نجحت (جودى) فى إدخار خمسة عشر دولاراً ثمن التذكرة وكذلك خمسة دولارات أخرى . لكن الأم عادت فانكرت وعدها وأخبرت إبنتها أنها يجب أن تشترى بما ستدخره ملابساً جديدة للمدرسة . احست (جودى) بخيبة الأمل وقررت الذهاب إلى الحفل بأية طريقة ، واشترت تذكرة للحفل وأخبرت والدتها بأنها لم تدخر غير خمسة دولارات . وفى يوم السبت المحدد للحفل ذهبت جودى لحضوره وأخبرت والدتها بأنها ستقضى اليوم عند إحدى صديقاتها .

ومر إسبوع ولم تعرف أمها الحقيقة . لكن (جودى) أخبرت أختها الكبرى (لوسى) بأنها كذبت على أمها وذهبت للحفل ، وتتساءل (لوسى) ترى هل تخبر والدتها بحقيقة ما فعلته أختها الصغرى (جودى) أم لا ؟

- هل يجب على (لوسى) أن تخبر والدتها بحقيقة ما فعلته أختها بالنقود أم تظل صامتة ؟

لماذا ؟

- أثناء تساؤل (لوسى) عما إذا كانت

ستخبر والدتها أم لا كانت تضع فى الاعتبار حقيقة أن (چودى) أختها . فهل يجب أن يصنع هذا الامر فارقاً فى قرار (لوسى) ؟

- نعم أم لا ؟ ولماذا ؟

- هل إخبارها لوالدتها يضيف شيئاً لكونها إبنة بارة ؟

- نعم أم لا ؟ ولماذا ؟

- هل تعتبر حقيقة أن چودى إنخرت هذه النقود من مصروفها حقيقة هامة فى هذا الموقف ؟

- نعم أم لا ؟ ولماذا ؟

- وعدت الأم إبنتها أنها ستذهب للحفل إذا أدخرت المطلوب . فهل يعد هذا الوعد أهم شئ فى الموقف ؟

- نعم أم لا ؟ ولماذا ؟

- بصفة عامة ، لماذا يجب أن نفى بالوعود ؟

- هل يجب أن نحفظ عهداً لشخص لا تعرفه جيداً ؟ وربما لن نراه ثانية ؟

- نعم أم لا ؟ ولماذا ؟

- ما الذى تعتقد أنه أهم شئ يجب أن تحافظ عليه الأم فى علاقتها بإبنتها ؟

- لماذا يعد هذا هو أهم شئ ؟

- بصفة عامة ، إلى أى مدى يجب أن تصل سلطة الأم على إبنتها ؟

- لماذا ؟

- ما الذى تعتقد أنه أهم شئ يجب أن يحافظ عليه الابن فى علاقته بأبيه ؟

لماذا تعتبر هذا أهم شئ ؟

معضلة الفرقة المنسحبة :

حدث فى كوريا أن إحدى الفرق البحرية كانت تتقهقر أمام العدو الذى يفوقها عدداً بكثير ، عبرت هذه الفرقة أحد الكبارى (الجسور) المقامة فوق النهر ، ولكن العدو كان لا يزال على الجانب الآخر ، مما اضطرهم للتخطيط للعودة على نفس الكوبرى ثم نسفه فربما يستطيعون الفرار . لكن الرجل الذى سيقوم بعملية النسف قد لا يتمكن من الفرار حياً .. ولما كان القائد هو الشخص الذى يعرف جيداً كيف يقود عملية الهروب ، فهو يطلب متطوعين للقيام بالنسف ، لكن أحداً لم يتطوع ، فلو قام بهذه العملية (النسف) بنفسه فربما لا يستطيع باقى الرجال أن يعودوا سالمين ، فهو الوحيد الذى يعرف كيف يقود عملية الإنسحاب .

- هل يجب أن يأمر القائد أحد الرجال بالقيام بالمهمة أو أن يذهب بنفسه ؟

- لماذا ؟

- هل يجب أن يرسل القائد أحد الرجال باستخدام القرعة حين يعنى هذا إرساله للموت ؟

- نعم أم لا ؟ ولماذا ؟

- هل يجب أن يذهب القائد بنفسه رغم أن هذا ربما يعنى عدم قدرة رجال الفرقة على العودة آمنين ؟

- نعم أم لا ؟ ولماذا ؟

- هل من حق القائد أن يأمر أحد الرجال بالقيام بالنصف حين يعتقد أن هذا هو الأفضل ؟

- نعم أم لا ؟ ولماذا ؟

- إذا اختير أحد الرجال للذهاب فهل هو واجب اضطراري أن يذهب ؟

- نعم أم لا ؟ ولماذا ؟

- ما هو الشئ عظيم الأهمية فى حياة الإنسان الذى يجعل عملية الانقاذ والحماية أمراً هاماً ؟

- لماذا يعد هذا الشئ هاماً ؟

- كيف يمكن تطبيق هذا على ما يجب على القائد عمله ؟

معضلة ڤاليان :

في أحد بلاد أوربا ، كان يعيش رجل فقير إسمه (ڤاليان) . ولم يجد هذا الرجل عملاً له ولا لأخته أو لأخيه ، وإذ لم يكن له نقود ، سرق طعاماً ودواءاً كانوا يحتاجونه لهم ، فقبض عليه وحكم عليه بالسجن ست سنوات . وبعد عامين ، هرب من السجن ليعيش في مكان آخر من البلد باسم جديد . ادخر هذا الرجل نقوداً ، وعلى مر الأيام استطاع أن يبني مصنعاً كبيراً ، وكان يدفع لعماله أعلى المرتبات ، وقد استخدم أرباح المصنع ليبني مستشفىً لأولئك الغير قادرين على تحمل نفقات العلاج ، وبعد عشرين عاماً تعرف أحد الخياطين على صاحب المصنع (ڤاليان) المجرم الهارب والذي يبحث عنه البوليس في مدينته .

- هل يبلغ هذا الخياط البوليس عن (ڤاليان) ؟

- نعم أم لا ؟ ولماذا ؟

- هل من واجب المواطن أم هو اضطرار عليه أن يبلغ عن مجرم هارب ؟

- نعم أم لا ؟ ولماذا ؟

- أفترض أن ڤاليان كان صديقاً حميماً للخياط ، هل كان سيقوم بالإبلاغ عنه ؟

- إذا تم الابلاغ عن ڤاليان وقدم للمحاكمة . فهل سيرسل للسجن أم سيحكم ببراءته ؟

- لماذا ؟

- بالنظر إلى المجتمع ، هل يجب أن يعاقب الخارجون عن القانون ؟

- نعم أم لا ؟ ولماذا ؟

- كيف يمكن تطبيق هذا على ما يجب على القاضي أن يفعله ؟

معضلة الاخوان :

وقع أخوان شابان فى مشكلة خطيرة ، وكانا فى طريقهما لترك المدينة سراً من فرط الحاجة للمال . فقام (كارل) الأخ الأكبر بسرقة ألف دولار من أحد المتاجر ، أما الأخ الأصغر (بوب) ، فقد ذهب إلى أحد الرجال المتقاعدين وكان هذا الرجل معروفاً بمساعدته للمحتاجين من أهل بلدته ، وقد أخبره (بوب) أنه مريض وفى حاجة لألف دولار لإجراء عملية جراحية . وطلب (بوب) من الرجل أن يقرضه هذا المبلغ ووعده بأن يرده إليه بعد شفائه .

وفى الحقيقة لم يكن (بوب) مريضاً ولم يكن ينوى أن يرد المبلغ على الإطلاق . وعلى الرغم من أن الرجل المسن لم يكن يعرف بوب معرفة جيدة فإنه أعطاه ما طلب ، وترك كارل وبوب المدينة وكل منهما يحمل ألف دولاراً .

ـ أيهما أسوأ السرقة كما صنع (كارل) أم الغش الذى قام به (بوب) ؟

ـ لماذا يعد هذا هو الأسوأ ؟

ـ ما هو أسوأ شئ ـ فى إعتقادك ـ قد تم عند خديعة الرجل المسن ؟

ـ لماذا يعد هذا هو الأسوأ ؟

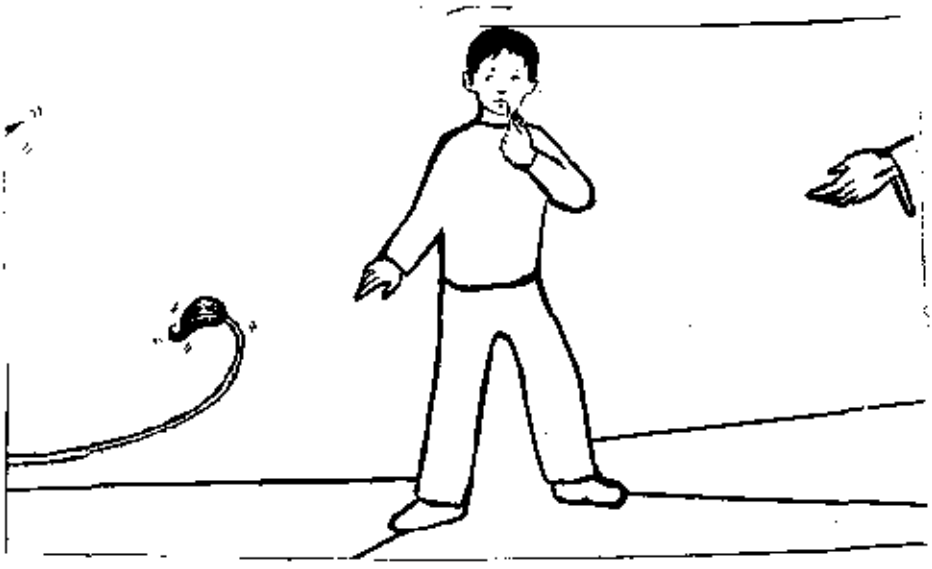

- بصفة عامة ، لماذا يجب الوفاء بالوعد ؟

- هل يعد ضرورياً أن تفى بالوعد لشخص لا تعرفه جيداً وربما لن تراه ثانية أبداً ؟

- نعم أم لا ؟ ولماذا ؟

- لماذا لا يجب أن يسرق شخص ما متجراً ؟

- ما هى قيمة أو أهمية حقوق الملكية ؟

- هلى يجب أن يفعل الناس كل ما بوسعهم ليطيعوا القانون ؟

- نعم أم لا ؟ ولماذا ؟

تدريب على وضع المعضلات :

المعضلة أسلوب من أساليب المناقشة يستوى فيه طرفا الحل من الناحية الأخلاقية ، وقد عرفها «قاموس الموريد» بأنها قضية أخلاقية يستوى فيها طرفا النقيض بحيث يصعب تحديد أيهما أصح .

يطرح الخادم سؤالاً (أو مشكلة) ، ثم يحاول أن يجيب عليه إجابتين كلتيهما يحتوى جزءاً متساوياً من الصواب والخطأ ، بحيث يدفع السامع إلى التفكير العميق وإصدار الحكم الأخلاقى ، ولا يخفى ما ينطوى عليه هذا الإسلوب من تعارض بين القيم المختلفة وهذا يساعد الدارسين على تحديد قيمهم الخاصة . (Value Clarification) .

أمثلة لمعضلات يستطيع الخادم أن يضع مثلها :

(١) وقف هانى فى طابور طويل فى الجمعية الإستهلاكية لشراء « الصلصة » وعند عودته للمنزل اكتشف أن البائع أعطاه جنيهاً زائداً عن الحساب . وعند عودته ليتفاهم معه طلب منه البائع أن يقف فى آخر الطابور . هل يأخذ الجنيه ؟ ولماذا ؟

(٢) سألى فتاة ذكية طلبت منها أمها شراء علبه من « الكاكاو » الذى قفز سعره من ٩٠

قرشا إلى ١١٠ قروش فى يوم واحد ، فعادت لأمها التى وافقت على دفع الفرق وعند خروجها للمرة الثانية وجدت محلاً يبيع الكاكاو بالسعر القديم . فهل تأخذ الفرق ؟ ولماذا ؟

(٣) سأل المدرس التلميذ عن كراسة الواجب ، وكان والد التلميذ فقيراً ، فطلب من إبنه الإنتظار قليلاً حتى يشترى له الكراسات . فهل يتظاهر بأنه نسى الكراسة ؟ ولماذا ؟

ثانياً : طريقة توليد الفكر

أول من أستخدم هذه الطريقة لتدريس الأخلاق هو سقراط ، فهو أول من جمع الشباب حوله ليطارحهم بأسئلته المتلاحقة ، قاصداً بهذا أن يجبرهم على الإعتراف بأنهم لا يعرفون ، فمن قال لا أعرف فهو الحكيم ، ولذلك اقترنت بفلسفته عبارة (إعرف نفسك Know thy self) وسمى سقراط طريقته هذه ، بطريقة توليد الفكر ، لأنه يسعى بالأسئلة المتلاحقة إلى إثارة فكر التلاميذ ودفعهم للوصول إلى النتائج بأنفسهم . وما طريقة كولبرج فى المناقشات التهذيبية (المعضلات) إلا تطوير لهذه الطريقة .

تدريب (١)

يقوم الخادم بإختيار موقف من حياة إحدى الشخصيات الكتابية وهى تحاول إتخاذ القرار :

مثال :

شخصية يونان

وفى حالة وجود مجموعة من الخدام يدرسون هذا الكتاب معاً ، يمكن توزيع شخصيات مختلفة عليهم لأداء التدريب ومشاركة النتائج فيما بعد ، وهذه الشخصيات تصلح لبداية مناقشة تهذيبية :

آدم وحواء - يعقوب - يوسف - شمشون - داود - ذكريا نحميا - شاول بن قيس - سليمان الحكيم - بطرس - حنانيا وسفيرة - يوحنا المعمدان .

يساعد المدرس التلميذ على إصدار الحكم الأخلاقى وليس فقط معرفة القصة أو إسترجاعها .

فيقول فى حالة شخصية يونان لو كنت فى مكان يونان فماذا تختار .

وهنا تتوالى الأسئلة الإستدراجية بطريقة بسيطة تلقائية متتالية .

اســـئلة :

* لما إخترت هذا الإختيار ؟
* هل إخترته بحريتك ؟
* هل هناك حلول أخرى يمكن أعتبارها ؟
* ما هى نتائج هذا الاختيار ؟
* ماذا تشعر؟ هل أنت مسرور لهذا الإختيار ؟
* هل ستخبر آخرين بهذا الإختيار ؟
* هل ستستطيع أن تنفذه بالفعل ؟
* ماذا ستكون نتيجته ؟
* هل ستفعل هذا فى مواقف أخرى مماثلة ؟

تدريب (٢)

لإضافة مزيد من الطرافة والفاعلية على المناقشة ، يمكن التمهيد للمناقشة التدريبية بعرض مختصر لمدة ١٠ ـ ٣٠ دقيقة بإستخدام أحد الوسائل التالية :

* قراءة كتابية ، أو قراءة من مصدر آخر .
* عرض صور أو ملصقات .
* اسكتش أو تمثيلية قصيرة .
* عرض لفصل فيلم سينمائى أو ڤيديو .
* مقتطفات لتسجيل صوتى من حديث تليفزيونى أو إذاعى .
* كلمات ترنيمة .
* مقال من جريدة .
* إفتتاحية مجلة .
* إعلان تجارى .

تتبع هذه الفقرة مناقشة تهذيبية بوضع أسئلة كما فى التدريب السابق ، حيث يستطيع الدارسون بلورة قيمهم الشخصية ، والتعبير عنها وبهذا تنطوى هذه العملية على الإستنتاج وتوليد الفكر .

ثالثاً: طريقة ليسيلاى Leslie للمناقشات الأخلاقية:

وهى قريبة الشبه من الطريقة السابقة إلا أنها أكثر تحديداً فهى تتكون من ستة خطوات محددة .

١ـ يقرأ فصل مختار من الكتاب (ليكن يوحنا ٥ : مريض بيت حسدا)

٢ـ يدلى أفراد الجماعة بانطباعاتهم عن الموضوع .

٣ـ يقود المدرس الجماعة للغوص فى المعانى العميقة للقصة ، متجاهلاً إطارها الزمنى أو البيئى .

٤ـ يذكّر القائد الجماعة بحيوية الكنيسة وفاعلية رسالة المسيح فى كل العصور ، وإنه من الممكن أن يتم هنا والآن ما قد تم

هناك فى ذلك الزمان ، وكيف يحدث لنا ما حدث لمريض بيت حمدا (من منكم شعر بأنه ليس له إنسان ؟)

٥ـ يسأل القائد الجماعة عن الأشياء التى يفعلونها حين يراودهم هذا الشعور .

٦ـ وأخيراً يطلب منهم مناقشة الآية المحورية :

« قم احمل سريرك وامش »

أو « ها قد برئت فلا تخطئ أيضاً »

وقد تبدو هذه الطريقة شائعة ، لكننا نعود ونؤكد أن محاولة وضع التلاميذ فى مكان صاحب القصة مع طرح السؤال الأخلاقى عليه « اتريد أن تبرأ » هى الطريقة {Technique} التى يركز عليها أخصائى التربية ليزلاى . وعلى الخادم أن يتذكر أن يسأل مخدوميه دائماً : ضع نفسك فى موقع دانيال ، داود ، اللص اليمين ... الخ

* ماذا تشعر ؟
* فيما تفكر ؟
* ماذا تفعل ؟
* ما هو رأيك ؟
* هل هناك حلول أخرى ؟

تدريب :

استخدم طريقة ليلاي بمقارنة الواقع الحالى بقصص الكتاب أو التاريخ الكنسى ، ضع الخطوات الستة بوضوح فى كراسة التحضير .

* مثال : (١) قارن بين عطائنا الحالى للفقراء أو المرضى ، فى مقابل كنيسة الرسل .

(٢) ناقش مشكلة الغضب فى حياتنا الفردية مقابل قصتى تطهير الهيكل وصلب المسيح .

رابعاً : طريقة بطاقة التقييم :

يستطيع المدرس إعداد بطاقات للتقييم يقوم بإستخدامها الدارسون أفراداً أو جماعات ، وتعتبر بطاقات التقييم مجموعة من الأسئلة التنشيطية التى تتبع نصاً ، أو قصة ، أو قضايا ، أو أسئلة ، أو أحداثاً تحث الشخص على الإختيار بناء على قيمه الخاصة . وفيما يلى نموذجاً لبطاقة تقييم ، يليها مجموعة من المواصفات المطلوبة لوضع بطاقات تقييم أخرى .

أقرأ مثل السامرى الصالح (لو ١٠ : ٢٥ - ٣٧) فكر ، ثم أجب عن أو ناقش الأسئلة التالية:

١- ما هو رأيك فى موقف الكاهن واللاوى ؟

٢- كان السامرى يعتبر عدواً لليهود - لماذا توقف ؟

٣- لو كنت أنت المصاب بما تشعر تجاه السامرى ؟

٤- أذكر بعض الأمثلة من خبرتك تتفق مع هذه القصة التى رواها يسوع .

٥- روى يسوع هذا المثل إجابة على سؤال : من هو قريبى ؟ كيف يمكنك إجابة هذا السؤال ؟

٦- فكر فى شخص ما حولك ، يحتاج إلى رفيق أو صديق ، كيف تكون قريباً لهذا الشخص ؟

*** المواصفات التي يجب أن تتسم بها بطاقات التقييم ؟**

لكى تستطيع ان تحكم على بطاقة التقييم أسأل نفسك هذه الأسئلة :

١- هل تترك الأسئلة فرصة للإختيار الحر ؟

٢- هل ينكشف رأى المدرس من خلال السؤال ؟ فإذا كان هذا هو الحال أعد صياغة السؤال بحيث لا يتضح فيه السلوك السليم .

٣- هل يركز السؤال على مجال يكون للتلاميذ فيه رأى أو مشاعر محددة ؟

٤- هل يساعد السؤال التلاميذ على إعتبار

البدائل والتبعات للإختيار .

٥- هل تساعد بعض الأسئلة التلاميذ على السلوك حسب ما اختاروه من قيم ، أو على الأقل التأمل فى سلوكهم الشخصى .

٦- هل هناك جو يوحى بأن التلاميذ سوف يكونون مقبولين بصرف النظر عن القيم التى يختارونها أو الاجابات التى يدلون بها ؟

خامساً: طريقة جيروم في التربية الاخلاقية :

انتهج جيروم Jiroom طريقة عكسية مبتدئاً بالواقع السيكولوجى للمخدوم مما يعطى طريقته قيمة كبيرة من الناحية الوجدانية (بحسب التعبير النفسى ، وجودية حسب التعبير الفلسفى ، إختباريه حسب التعبير المسيحى) فالدارس يفكر أولاً فى واقعه ويحلله ويزداد شعوراً به قبل عرض القصة النموذجية عليه ، وإليك خطوات هذه الطريقة الشيقة :

الخطوة	وصفها
الأولى : الفعل الحاضر.	يعبر المشتركون عن سلوكهم المعتاد تجاه مسألة ما.
الثانية : الإطار الشخصى للسلوك.	يحاول المشتركون فى المناقشة تفسير وتبرير سلوكهم الحالى حسب وجهة نظرهم أو قصة حياتهم الخاصة أو ما يدور فى مجتمعهم.
الثالثة :وجهة النظر المسحية.	تطرحهم قصة مماثلة من التاريخ الكنسى أو الكتابى أو الرهبانى.
الرابعة : الحوار بين القصتين.	يقارن أفراد الجماعة بين القصتين ، فى محاولة لإيجاد نقط للإتفاق أو الإختلاف بينهما.
الخامسة : خطة للمستقبل.	يحاول المشتركون اتخاذ قرار إما بالإستمرار فى نفس سلوكهم،أو تغييره بسلوك بديل بناء على فهمهم لذواتهم وظروفهم والرسالة المسيحية التى جسدتها القصة التاريخية.

سادساً: طريقة مقارنة ومقابلة القيم :

هى طريقة لتحليل ومناقشة قيم الأشخاص فى موقف معين ، ومقابلتها بعضها ببعض ، لمعرفة أوجه الشبه والإختلاف . ويمكن إتباع هذه الطريقة بالتفكير فى موقف فى الحياة أو نص كتابى أو قصة يدخل فيها أشخاص مختلفون .

مثال :

البشر حول المزود - موقف الناس من الصليب - يوسف وأسرته وفرعون - يهوذا والمرأة وقارورة الطيب .. وهذه هى المبادئ العامة لإستخدام هذه الطريقة :

١ - لخص الحقائق فى الموقف ، أو قسمه إلى نقط أو مواقف فرعية لكل شخص اشترك فيه .

٢ - إستنتج سبباً لسلوك كل شخص فى الموقف .

٣ - استنتج قيم كل شخص فى الموقف .

٤ - إعط سبباً للإستنتاجات التى وصلت إليها .

٥ - حدد الفروق وأوجه الشبه بين القيم المختلفة .

٦ - توصل إلى نتيجة .

مثال :

يهوذا : إهتم بالمال أكثر من المخلص ومن الفقراء .

المرأة : إهتمت بالرب أكثر من المال أو كلام الناس .

سابعاً: طريقة البحث عن القيم المتصارعة:

كثيراً ما تتصارع القيم فى عقولنا فنحتار فى إختيار المواقف ، والواضح أن كل إختيار أمام عقولنا وقلوبنا ينطوى على قيمة معينة نؤمن بها أكثر من غيرها .

ومثال ذلك قصة لوط ، وشمشون ، ويعقوب ، والبشاره ، وجثيماني ، ويمكن تحليل هذه القصص لإيجاد القيم العظمى .

ويمكنك إستخدام هذه الطريقة بأن تتبع هذه الخطوات :

١ ـ حدد الإختيارات المحتملة أمام شخصية ما، في فصل كتابي أو قصة أو فيلم .

٢ ـ تنبأ بالنتائج المحتملة لكل من الإختيارات التي قد يتبعها الشخص .

٣ ـ فكر في إحتمالات أخرى .

٤ ـ قرر ما هما الإحتمالين الأكثر واقعية وإمكانية للحدوث .

٥ ـ فكر في تصرفك الشخصي في خبرة مماثلة .

٦ ـ قيم اختيارك الشخصي للحل .

٧ ـ إشرح لماذا يجب على شخص ما إتباع حل معين .

مثال :

في موقف مثل الموقف الذي تعرض إليه شمشون كان أكثر احتمالين أمامي هما أن:

١ـ أهرب .

٢ـ أسقط .

وهذا يدل على كوني أعاني من صراع بين الجسد والروح ، والافضل إتباع الحل الأول لأنه ....

ثامنا : طريقة تقييم النتائج والتوصيات :

في أي جلسة عمل أو لقاء أو حوار ، يصل المجتمعون إلى توصيات ونتائج ، وتنطوي هذه النتائج على إختيار للقيم ، كما يتبعها ويترتب عليها أحداث . فاذا أردت إتباع هذه التوصيات ماذا سوف يحدث ؟

هذه الطريقة تساعدك على تقييم نتائج وتوصيات أي لجنة أو مؤتمر .. كذلك فهي تتيح لك حواراً مفتوحاً حول القيم المتضمنة ويمكنك إتباع هذه الخطوات :

١ـ حدد نوعية التوصيات أو النتائج التي تريد تقييمها .

٢ـ تنبأ بالتبعات أو ما يترتب على إتباع الوصيات أو النتائج .

٣ـ حدد معايير تقيس بها التبعات ، وما يترتب على التوصيات أو النتائج .

٤ـ برر إختيارك للمعايير التي تقيس بها التبعات .

٥ـ قيم تبعات التوصيات والنتائج المقترحة .

٦ـ حدد تأكيدك أو نقدك للتوصيات والنتائج .

تاسعاً : طريقة دراسة البدائل :

كثيراً ما يتصرف الفرد بطريقة ما ، ثم بعد التأمل أو التفكير يتمنى لو كان قد تصرف بطريقة مختلفة ، وعادة ما يكون هناك عدة سلوكيات بديلة لكل موقف .

ومما يفيد الشخص أن يكتشف عدة إحتمالات للإستجابة لموقف ما ثم يختار السلوك الأفضل .

وطريقة دراسة البدائل طريقة يقدم فيها المدرس موقفاً أو قصة غير منتهية بحيث تكون مفتوحة لعدة إحتمالات سلوكية ، وتكون مهمة التلاميذ البحث عن فعل سلوكى مناسب.

وفيما يلى نموذجاً لذلك الموقف :

(أرسلتك والدتك لصرف روشتة من الصيدلية لأن أختك مريضة جداً وتحتاج للدواء فى الحال ، وقد رآك صديقك تركب دراجتك ، وطلب منك أن يذهب معك فوافقت على ذلك ، وفى الطريق ترى سيارة تصدم خروفاً يسير فى الطريق ، ثم تهرب السيارة بينما يظل الخروف ملقاً على جانب الطريق وهو يتزف ولكنه لا يزال حياً . فماذا تفعل ؟)

توجيهات :

١- قم بعمل قائمة مع إثنين أو ثلاثة من زملائك بكل التصرفات الممكنة التى يمكنك أنت وصديقك أن تقوم بها فى هذا الموقف .

٢- قم بمفردك بإختيار التصرف المناسب الذى تفضل أن تقوم به ؟

٣- لماذا تفضل هذا التصرف عن غيره ؟

عاشراً : طريقة ترتيب الأولويات:

يقوم الناس يومياً بعمل إختيارات تدل على الأولويات التى يهتمون بها أكثر من غيرها ، وذلك فيما يختص بشراء الأشياء ، وقضاء الوقت ، وإعطاء المواعيد للمقابلات . وتأتى الأولويات التى نختارها عاكسة للقيم التى ندين بها . وطريقة ترتيب الأولويات ، طريقة تعتمد على عبارة أو سؤال يتبعها ثلاثة أو أربعة إختيارات ، ويكون على التلاميذ ترتيب الأولويات من الأكثر إلى الأقل أهمية ، ويعطى الوقت بعد ذلك لمقارنة ومناقشة الإختيارات المختلفة .

مثال :

١- إن كان لديك ٢٠ جنيه لا تريد استعمالها فى شئ آخر مهم ، فهل :

- تشترى ملابس ؟
- تشترى شرائط موسيقية ؟
- تشترى كتاباً ؟

٢- ماذا تظن أن الرب يسوع يعتبرها أعظم خطية ؟

- عدم الغفران لشخص يطلب ذلك .

- إهمال شخص يحتاج معونة .
- السخرية من الآخرين .

٣- اذا استطعت أن تقضى يوماً مع أى شخص تعرفه ، فمن تختار ؟
- رئيس الجمهورية .
- أحد أبطال الرياضة .
- نجم سينمائى .

٤- إن كان لديك الوقت والمال والخبرة لحل مشكلات المجتمع ، فأى المجالات تختار ؟ :
- إنقاذ البيئة .
- تحديد النسل .
- تحسين مستوى التعليم .

تدريب :

حاول الآن وضع أسئلة مشابهة ، استخدم التوجيهات التالية :

١- قم بعمل أسئلة على الإهتمامات الشخصية .
٢- قم بعمل أسئلة على شخصية وتعاليم المسيح .

حادى عشر: طريقة المشاركة الوجدانية :

المشاركة الوجدانية تعنى أن تضع نفسك مكان الآخرين ، وتحاول أن تتحسس مشاعرهم : الآمهم - أفراحهم - مخاوفهم - حماسهم ... الخ

وهذه الطريقة تفيدنا فى التربية الأخلاقية والدينية من عدة وجوه ، فهى أساساً تعرف على أنفسنا من خلال مشاعر الآخرين المشابهة أو المغايرة .

كذلك فهى تساعدنا على تجاوز الذاتية والإنفتاح نحو الآخرين . وأخيراً فإن هذه الطريقة بصورة غير مباشرة ، تساعد على تنمية الشعور بالقيم والمبادئ العليا المشتركة بين البشر .

تقوم هذه الطريقة على عدة خطوات لتحليل المشاعر ومحاولة معايشة الموقف وهى :

١- وصف ما حدث فى موقف ما ، حقيقى أو خيالى .
٢- محاولة التعرف على مشاعر الشخص فى هذا الموقف .
٣- التفكير فى الأسباب ، ولماذا شعر الشخص بهذا الشعور فى هذا الموقف .
٤- إسترجاع موقف مماثل حيث يكون شخص آخر قد شعر بنفس المشاعر .
٥- وصف مشاعرك الشخصية أو مشاعر شخص آخر فى موقف مشابه .
٦- التوصل إلى نتائج بخصوص مشاعر الناس فى المواقف المختلفة .

مثال : حاول تحليل هذه المواقف الكتابية بطريقة المشاركة الوجدانية :

* بطرس بعد القيامة.
* المرأة التى أمسكت فى ذات الفعل .
* اللص اليمين .

هذا الجدول يفيدك بطريقة أكثر تفصيلاً لوضع الأسئلة بنفسك
« أسئلة للمشاركة الوجدانية »

أسئلة المدرس	دور التلاميذ	دور المدرس
١ـ ماذا حدث ؟	يعيد تلاوة الأحداث .	يتأكد من أن كل الحقائق قد قدمت ، وقد تم الإتفاق عليها . اذا قام التلاميذ بعمل إستنتاجات مبكرة يطلب تأجيل ذلك .
٢ـ ماذا تظن كانت مشاعره .. ؟	يستخرج المشاعر .	يقبل التفسيرات والإستنتاجات جميعها .
٣ـ لماذا تظن أنه (أوأنها) شعر بهذه المشاعر ؟	يشرح	يسأل التلاميذ توضيح إجابتهم لو كان هذا مطلوباً .
٤ـ هل هناك إقتراحات أخرى بخصوص مشاعر صاحب الشخصية ؟	يستنتج بدائل أو تفسيرات أخرى .	يطلب آراء أخرى . يسأل عن الأسباب .
٥ـ كيف كانت مشاعر بعض الشخصيات الأخرى فى القصة ؟	يستنتج مشاعر أشخاص آخرين .	يسأل توضيح أمر ما ، يشجع التلاميذ على التفكير فى كيف شعرت الشخصيات الأخرى فى الموقف .
٦ـ هل حدث شئ مماثل لك فى أحدى المرات ؟	يصف حوادث مماثلة فى الحياة الشخصية .	يتأكد من وضوح الموقف وشرحه .

تابع « أسـئلة للمشـاركة الوجـدانية »

أسئلة المدرس	دور التلاميذ	دور المدرس
٧ـ ماذا كان شعورك ؟	يصف مشاعره الخاصة ، وقد يستعيد الشعور والإنفعال بها .	يطلب إيضاحات إذا كان هذا مطلوباً
٨ـ لماذا تظن أنه كان شعورك هكذا ؟	يقدم شرح ، ويحاول أن يربط بين مشاعره الخاصة في هذا الموقف ، وبين ما حدث له .	يطلب دليلاً إن كان هذا لازماً . يسأل أسئلة أخرى لتجاوز الجمود أو السطحية في التفسير .
٩ـ لماذا تعتقد أن الناس يشعرون بهذه المشاعر في مواقف مشابهة ؟	وضع نتيجة مبدئية .	يشجع التلاميذ على مناقشة النتائج .

ثاني عشر : طريقة التوجيهات الشخصية :

هدف هذه الطريقة هو تصميم أنشطة تعليمية تناسب : مهارات ، وإهتمامات ، وإحتياجات التلاميذ ، بهدف تشجيعهم على المشاركة فى تحديد الأنشطة التى تفيدهم فى التعليم ، ويظل دور المدرس كمخطط وموجه ومنشط للعملية التعليمية فقط .

ويمكن إتباع هذه الطريقة بحسب الخطوات التالية :

(١) يقوم الدارس بملاحظة شريط فيديو أو فيلم أو قراءة نشرة أو مقال من جريدة أو مجلة.

(٢) يجيب الدارس على أسئلة شخصية معدة سابقاً لزيادة الخبرة .

(٣) يناقش الإجابات مع المدرس أو مع مجموعة من الدارسين .

ثالث عشر: التصويت (أو الاستفتاءات :

التصويت عمل معروف لدى معظم التلاميذ ، وهو عمل محبب ، كما إنه يسمح للجميع بالمشاركة ، وهو يتطلب من الشخص الإدلاء بأرائه ، وكذلك فإن التصويت يصلح تمهيداً لمناقشة مفيدة ومثمرة بعد أن يقوم الأشخاص بتحديد مواقفهم وقيمهم .

يقوم المدرس بتحديد الأسئلة التى يقدرع عليها التلاميذ ، ويبدأ كل سؤال بهذه الصيغة : من منكم ... ؟

متبوعة بكلمة « يعتقد »

« يشعر »

« يستمتع »

« يتمنى » .. الخ

وغيرها من الكلمات التى تجعل السؤال محدداً وشخصياً ..

مثال : التصويت على النجاح :

من منكم ؟

١- يعتقد أنه ناجح .

٢- مستعد أن يعمل بجد من أجل النجاح .

٣- يعتقد أن النجاح يقود إلى الغنى .

٤- يعتقد أن النجاح يقود إلى الإكتفاء .

٥- غير رأيه مرة عن معنى النجاح .

٦- يعتقد أن معظم الناس يقيسون النجاح بالمقياس المادى .

٧- يعتقد أن الرب يسوع كان شخصاً ناجحاً .

٨ - يعتقد أن الشخص الواثق فى نفسه سيكون ناجحاً .

٩- يعتقد أن الناجحين شجعان .

١٠- لديه هدف لإدراك النجاح بعد الوصول إلى عمر معين ١٦ ، ٢٠ ، ٣٠ ، ٤٠ ، ٥٠ ، ٦٠ سنة .

١١-يعتقد أن الناجحين مرنون ويقبلون التغيير.

١٢- يعتقد أن النجاح يكون فى خدمة الله والناس .

١٣- يعتقد أن الكتاب المقدس يتحدث عن النجاح .

١٤- مكتف بالنجاح الذى حققه .

١٥- يتمنى أن يعترف الآخرون أكثر وأكثر بنجاحه .

رابع عشر : طريقة لعب الأدوار:

هدف طريقة لعب الأدوار تزويد المجموعة بخبرة مشتركة متعلقة بإحدى مجالات الحياة ، واستخدام التدريب بطريقة تخيلية لتحديد القيم الفردية والجماعية .

فلا يجب اذن أن نقوم بلعب الأدوار إن لم يكن الوقت يكفى بعدها للمناقشة وتأمل الخبرة. لكى نبدأ بعمل تدريب بإستخدام لعب الأدوار يقرأ القائد قصة أو فيلماً أو تسجيلاً ، أو يعرض صورة أو مقالاً من جريدة أو مجلة تتعرض فيها إحدى الشخصيات إلى مشكلة شخصية يكون عليها فيها الإختيار بين عدة بدائل ، على أن تكون المشكلة متعلقة بحياة التلاميذ فى الفصل .

*** قواعد عامة للعب الأدوار :**

- اقرأ القصة (أو إعرض الفيلم أو ....) حتى نقطة الإختيار ، حين يصل بطل القصة أو إحدى شخصياتها إلى مفترق الطرق .

- اسأل هذا السؤال :

ماذا تعتقد أن الشخصية ستفعل الآن ؟

- أطلب من الدارسين إختيار أدوار الشخصيات التى يشعرون بمشاعرها ويتوحدون بها . ويمكنك معرفة ذلك من خلال تعليقات التلاميذ على الأحداث القادمة .

- أطلب متطوعين ، ولكن لا تقبل الذين يرشحهم الآخرون ، بل الذين يرشحون أنفسهم، لأن البعض قد يرشحون الآخرين للسخرية منهم . كذلك قد لا يكون الشخص متقمصاً لهذا الدور الذى رشحه له الآخرون .

- أعط وقتاً قصيراً للذين سيقومون بلعب الأدوار لتحديد ماذا سيقولون أو يفعلون ؟

- حدد فى الوقت نفسه دور المستمعين بأن تطلب منهم : تدوين الملاحظات ، تحديد موقف الشخصيات ، التفكير فى بدائل لحل المشكلة ، تقييم مقدار واقعية التمثيلية ومطابقتها للحياة اليومية ، تحديد مشاعر الشخصيات أثناء تطور القصة .

- من المهم تنبيه المشاهدين أن الضحك والتعليقات تفسد التدريب ، بينما الملاحظات والتقييم النهائي يساعد على الإستفادة وبعمق الخبرة .

- قم بمشاهدة التمثيلية ، ولا تقيم الممثلين بناء على قدرتهم على التمثيل ، لأن الهدف هو محاولة تحسس مشاعر وخبرات وقيم الآخرين .

- ناقش ما حدث ، وهل كان واقعياً ؟ هل من المحتمل أن تكون النتائج متماشية مع التمثيلية ؟

- جسّم المعضلة بعد التمثيل بطريقة لفظية. كذلك يمكن إعادة لعب الأدوار لتجسيد الحل ، أو تفسير أو ايجاد بدائل لمواقف الشخصيات ، كذلك يمكن تغيير بعض الممثلين أو كلهم .

- ناقش النسخة المعدلة .

- شجع الدارسين على إستنتاج خلاصة مما شاهدوه وشعروا به ، ثم مناقشة هذه النتائج .

ويمكن طرح سؤال مثل هذا للتنشيط :

- لماذا يتصرف الناس فى مواقف كهذه بهذه التصرفات ؟

- ماذا كان من الممكن أن تفعل ؟ (وليس ماذا ستفعل)

فى السؤال الأخير نشجع الدارسين على إدراك الحلول البديلة ، ولا نسأل فى هذا التدريب ما هى أفضل التصرفات فى هذا الموقف لأن هذا السؤال يسرع بعمل الحكم الأخلاقى ، ولكن المقصود بلعب الأدوار إستكشاف المشاعر ولذلك فإننا لا نتعجل بالحكم على التصرفات من حيث هى خطأ أو صواب .

أمثلة لتدريب لعب الأدوار :

(١) لا يقتنع والداك بأنه يجب أن تصادق بعض الأشخاص ، ولكنك تعتقد أن حكمهم غير دقيق وتريد أن تفهمهم ماذا تفعل ؟

(٢) يريد بعض زملائك السخرية والعراك مع زميل آخر يعتقدون أنه جاسوس أو(يكلب) السلطة ، وأنه يقف فى صف المدرسين لا التلاميذ ، ويريدونك أن تنضم إليهم وإلا إتهموك بالجبن ، ماذا تفعل ؟

(٣) سأل المدرس تلميذاً غير محبوب إذا كان قد سرق كتاباً ، وأنت تعلم أن صديقاً لك قد أخذه فماذا تفعل ؟ .

(٤) نقل أحد أصدقائك لك من ورقة إجابتك فى الإمتحان دون علمك .. وسألك المدرس عن سبب تطابق إجابتكما حتى فى الأخطاء ؟ ماذا تفعل ؟

خلاصة

في هذا الفصل إجتهدنا أن نقدم لك ، عزيزى القارئ ، أهم الطرق العملية للتربية الأخلاقية . ونحن نؤكد على أنها طرق عملية ، أى يمكن للخادم أن يستفيد منها ويطبقها فى علاقته بأولاده المخدومين ، وخاصة أن معظم المشاكل التى يعانى منها المخدومين أما أن تكون على شكل معضلة أخلاقية يكون المطلوب فيها هو الإختيار بين خيرين أو الإختيار بين شرين ، أو هى مشاكل تتعلق بالأولويات والبدائل فى حياة الإنسان ، ويمكن للخادم أن يستخدم نفس الطرق (المعضلة - الأولويات) ليثير تفكير المخدوم وليساعده على إصدار الأحكام الأخلاقية داخل الفصل وبالتالى حين يخرج للحياة العامة .

كذلك ذكرنا طرقا متعددة مثل التمثيل أو لعب الأدوار التى تساعد الدارس على الشعور بالموقف ، وهى كلها طرق متطورة وإن كانت لها أصل كتابى .

فحين سأل الله آدم أين أنت؟، وسأل السيد المسيح السامرية عن حياتها ، كان فى ذلك إشارة إلى أهمية الدروس الأخلاقية فى تنشئة الإنسان ذو الضمير السليم .

أسئلة للمراجعة

(١) أستخدم إحدى المعضلات الكولبرجية في درس لأبناء المرحلة الإعدادية ـ حاول ألا تقود مخدومك إلى حل يتناسب مع إنطباعاتك الشخصية .

(٢) تتبع فكر السامرية « يو ٤ » وكيف وصلت بنفسها إلى الحقيقة ، وقارن هذا المنهج بطريقة توليد الفكر .

(٣) عرف طريقة ليسلاى Leslie ـ قارن بينها وبين طريقة توليد الفكر لتعرف الفرق بينهما .

(٤) ما هي المواصفات التي يجب أن تتسم بها بطاقات التقييم حتى تستطيع أن تؤدى دورها كطريقة للتربية الأخلاقية ؟

(٥) وضح الفرق بين الطريقة التي إتبعها جيروم وبقية الطرق السابقة ، وما قيمة هذا في إلقاء الضوء على واقع المخدوم وتحليله .

(٦) إدرس النص الكتابي (لو ٩ : ٥٧ ـ ٦٣) وحاول أن تطبق طريقة « مقارنة ومقابلة القيم » لإيضاح الموقف الحقيقي لكل الذين أرادوا أن يتبعوا السيد المسيح في هذا النص .

(٧) حاول أن تضع نفسك مكان القديس يوسف النجار في (متى ١ : ١٨ ـ ٢٤) مستخدماً طريقة البحث عن القيم المتصارعة لمعرفة رأيك الشخصي في ذلك .

(٨) استخدم السيد المسيح طريقة « تقييم النتائج والتوصيات » في (لو ٩ : ١ ـ ١٠) .

إدرس هذا النص لتعرف كيف تطبق هذه الطريقة في التربية الخلقية ... قارن ذلك مع (لو ١٠ : ٢٠) «أفرحوا بالحرى أن أسماءكم قد كتبت في ملكوت السموات » .

(٩) كوّن مجموعة أو عدة مجموعات من ثلاثة أفراد لتطبيق « طريقة دراسة البدائل » للتعليق على موقف الشاب الغني الذي التقى بالسيد المسيح في (مر ١٠ : ١٧ : ٢٢) .

(١٠) إدرس طريقة ترتيب الأولويات وحدد الفرق بينها وبين طريقة دراسة البدائل « في التربية الخلقية » .

(١١) إستخدم طريقة « المشاركة الوجدانية » لتعرف حقيقة موقف القديس بطرس حينما أنكر السيد المسيح (متى ٢٦ : ٦٩ ـ ٧٦) .

ترى ما هو تصرفك الشخصى لو إنك مكان القديس بطرس ؟ .

(١٢) ما هو الهدف الرئيسى الذى يمكن التركيز عليه أثناء إعداد درس بطريقة التوجيهات الشخصية وما هى الخطوات اللازمة لذلك ؟

(١٣) كيف تستخدم طريقة التصويت والإستفتاء فى إعداد درس لأبناء المرحلة الثانوية حول موضوع « القيم المسيحية فى مواجهة تحديات المجتمع المعاصر » .

(١٤) ما هى القواعد اللازمة لتطبيق « طريقة لعب الأدوار » فى التربية الخلقية ، وبماذا تمتاز هذه الطريقة عن غيرها من الطرق السابقة ؟ .

* ترتيب الأولويات - المشاركة الوجدانية - التوجيهات الشخصية - التصويب والاستفسارات .

الجلسة الخامسة : طريقة لعب الأدوار .

* مراجعة - وتقييم .

المطلـــــوب :

شرائح ملونة - كتب ومجلات تحتوى قصصاً ومواقف - لقطات من فيلم فيديو أو سينما - أدوات كتابية وأدوات لعمل ملصقات .

خطوات عمل الدورة

١ - يشرح القائد إحدى الطرق فى التربية الأخلاقية .

٢ - يوزع القائد على الحاضرين ملخصاً بخطواتها .

٣ - يقسم القائد الحاضرين الى ٤ مجموعات ، تعطى كل منهم نصف ساعة لوضع درس للتربية الأخلاقية ، وذلك بإستخدام الملخص ، وكذلك الأمثلة الموجودة فى هذا الفصل وفى أسئلة للمراجعة .

٤ - يسمح للدارسين بإستخدام وسائل الإيضاح المختلفة .

٥ - يقوم أفراد كل مجموعة بعرض درسهم بالتناوب ، ويقوم الآخرون بالتعليق فى النهاية .

٦ - تستخدم المجموعات نفس الطريقة الخاصة بالتربية الاخلاقية لعمل الدرس أو تستخدم كل مجموعة أحدى الطرق المختلفة التى تمت دراستها .

دورة تدريبية

رقم ٢

قم مع مجموعتك بدراسة المعضلات التالية ، وأجب على الأسئلة حولها ، ثم طبقها فيما بعد مع فصلك فى التربية الكشفية .

هذه المعضلات الكولبرجية مختارة من كتاب (التفكير الأخلاقى : دليل المعلم فى تنمية الفكر الأخلاقى لدى التلاميذ فى جميع المراحل) للدكتورة / فاطمة إبراهيم حميدة ١٩٩٠ مكتبة (النهضة المصرية)وقد تم تصديرها بحيث تتدرج فى الصعوبة حسب المراحل الدراسية المختلفة ، إتبع الخطوات التالية

- إقرأ المعضلة
- ثم بجل الأسئلة بمفردك .
- ناقش الإجابات مع زملائك فى المجموعة .
- إعرضها على فصلك فى التربية الكشفية .

١- جنية فى المطبخ

(ابتدائى)

كانت « هبة » تدخر من مصروفها لشراء عروسة جديدة وكان ينقصها جنيه واحد . وفى صباح يوم الجمعة كانت فى منزل صديقتها (سامية) . تلعب معها ، ثم دخلت المطبخ لتشرب ، لم يكن أحد فى المطبخ . عندئذ فكرت فى عروستها وقالت لنفسها « هذا الجنيه سيكون كافياً جداً لشراء العروسة » . وإستمرت تقول لنفسها « والدة « سامية » فى حجرة النوم تغلفها ولن تراني وأنا آخذ الجنيه » .

فى إعتقادك ، ما الذى يجب أن تفعله « هبة » ؟ ولماذا يجب أن تفعل ذلك ؟

أسئلة :

١- ماذا تفعلين لو كنت فى مكان « سامية » ؟ ولماذا؟

٢- هل شاهدت أحد يأخذ شيئاً لا يخصه ؟ كيف تتصرفين فى هذا الموقف ؟

٣- لو أن « سامية » هى التى وجدت الجنيه فى مطبخ منزلها هل تأخذه ؟ لم أو لم لا ؟

٢- ماذا يجب أن تفعل ، نادية ،؟

(إبتدائى إعدادى)

« نادية » تلميذة محبة جداً لمادة العلوم . فقد كان والدها يساعدها فى المساء ويعلمها الكثير من حقائق العلم . وعندما كبرت « نادية» علمها والدها كيف تجرى التجارب العلمية . وأصبحت « نادية » معروفة فى المدرسة بأنها أكثر التلميذات إمتيازاً فى مادة العلوم . وكانت « نادية » فخورة جداً بهذه الحقيقة . وقد طلب منها معلموها مساعدة بعض التلميذات،ولكن « نادية » فكرت وقالت لنفسها « إذا ساعدتهن فسيصبحن ممتازات مثلى » .

ما الذى يجب أن تفعله « نادية » فى هذا الموقف ؟ ولماذا ؟

أسئلة :

١- هل حديث « نادية » مع نفسها يعتبر شيئاً غير عادى ؟

٢- ماذا تفعلين لو كنت فى مكان « نادية » ؟ هل ستشعرين بمثل ما تشعر به « نادية » ؟ لم أو لم لا ؟

٣- ما رأيك فى مساعدة شخص ما ليصبح إنساناً أفضل ؟

٤- ما رأيك فى مساعدة شخص ما ليصبح مثلك وربما أفضل ؟

٥- ماذا لو أن المدربين والمعلمين يشعرون بمثل ما تشعر به « نادية » ؟

٣- سلة المهملات

(إبتدائى)

تعرضت مدرستك للتخريب المستمر خلال الشهر الأخير . فالنوافذ تحطمت بشكل متكرر ، والحروف والكلمات كتبت بالألوان على الجدران ، والمقاعد تهشمت ، وتحدث ناظر المدرسة فى صف الصباح عن هذا التخريب وكان غاضباً ، وطلب من كل تلميذ المساعدة فى المحافظة على الملكية العامة والإبلاغ عن أى تخريب يحدث للمدرسة . وفى يوم شاهدت أحد أصدقائك يشعل النار فى سلة المهملات .

هل تخبر عن صديقك ؟ لم أو لم لا ؟

أسئلة :

١- هل يجب أن تحمى صديقك فى جميع الحالات ؟

٢- ماذا يمكن أن يحث لو لم تبلغ عن الحادث؟

٣- ماذا لو أن صديقك الذى رأيته يشعل النار دافع عنك فى مواقف كثيرة من قبل ، هل سيختلف قرارك ؟ ولماذا ؟

٤- ماذا لو أن الشخص الذى شاهدته يشعل النار لم يكن صديقاً لك ؟ هل سيختلف قرارك ؟ ولماذا ؟

٤- حلوى للتصويت

(إبتدائى)

كان تلميذ بالصف الخامس مرشحاً لقيادة الفصل . كل شئ تعرفه عن هذا التلميذ كان جيداً . وقبل الإنتخاب جاء هذا التلميذ واليك وقدم لك الحلوى مقابل أن تقوم بإنتخابه.

هل ترفض هذا الأسلوب كمحاولة للفوز ؟ لم ولم لا ؟

أسئلة :

١- هل تعطى صوتك لهذا التلميذ ؟

٢- هل يفوز التلميذ بالإنتخاب إذا لم يخبر شخص الإدارة بما يفعله هذا التلميذ ؟

٤- هل يهمك هذا الأمر شخصياً ؟ ولماذا ؟

٥- يوم عاصف

(إعدادى)

سبق أن حذرك والدك من ركوب العربة مع أى شخص سواهما . وفى يوم حار ، عرض عليك والد صديقك اللذان لم تقابلهما من قبل أن يوصلاك بالعربة الى منزلك . وكان صديقك بالعربة . وقد رغبت فى الذهاب معهما . فقد كان شديد الحرارة، وعاصف، وكان عليك أن تسير مسافة كبيرة قبل أن تصل الى منزلك .

هل تقبل الركوب معهما؟ لم أو لم لا ؟

أسئلة :

١- هل تثق فى والدى صديقك ؟

٢- هل وجود صديقك فى العربة يجعل الأمر مختلفاً ؟

٣- ماذا لو وصلت المنزل وشاهدك والداك وأنت تغادر العربة ؟

٤- هل يمكنك تفسير ذلك بإنه كان حتماً أن تفعل ذلك ؟ لم أو لم لا ؟

٥- هل يجب أن تستخدم حكمك الخاص ، أم تتبع قاعدة والديك ؟ ولماذا ؟

٦- هل يجب أن أقول ؟

(إبتدائى)

وأنت فى الطريق من المدرسة الى المنزل شاهدت بعض تلاميذ الصف الخامس يأخذون نقوداً من تلميذ بالصف الأول الإبتدائى ، وهددوك بالضرب إذا أخبرت وكيل المدرسة بذلك . شعرت بضيق شديد ، ولكنك ذهبت الى المنزل .

هل ستخبر وكيل المدرسة بما حدث ؟ لم أو لم لا ؟

أسئلة :

١- ما سبب شعورك بالضيق ؟

٢- ماذا سيحدث إذا أخبرت وكيل المدرسة ؟

٣- ماذا سيحدث إذا لم تخبر وكيل المدرسة ؟

٧- نقود على منضدة البيع

(إبتدائى - إعدادى)

كنت مع مجموعة من الأصدقاء فى محل بقالة على ناصية الشارع الذى تسكن فيه . عثر صديقك على ورقة من فئة العشرة جنيهات على منضدة البيع . وبينما أنت فى إنتظار البائع ليحصل منك على ثمن المشتريات ، دخلت سيدة المحل ، كانت غاضبة ، وقالت للبائع إنها فقدت عشرة جنيهات ، وتعتقد إنه من الممكن أن تكون قد تركتها فى المحل وبدأت هى والبائع فى البحث عن النقود . نظر اليك صديقك وأعطاك إشارة بأن تبقى صامتاً .

هل تخبر السيدة بأن صديقك وجد النقود ؟ لم أو لم لا ؟

أسئلة :

١- إذا أخبرت البائع بأن النقود مع صديقك؟ هل ستستمر صداقته لك ؟

٢- إذا لم تخبر البائع ، ما الآثار المحتملة لذلك على السيدة التى فقدت النقود ؟

٣- ماذا لو إنك الشخص الذى فقد العشرة جنيهات ؟

٤- ماذا سيكون شعورك إذا لم تخبر البائع بأن صديقك يحتفظ بالنقود ؟

٧ – التقرير الشهرى

(إبتدائى/وإعدادى)

دخلت الحجرة فجأه فرأيت أختك تتزوّر امضاء والدك على التقرير الشهرى ، المشهادة ، وعندما طلبت منهاتفسيراً لذلك أخبرتك إنها حصلت على درجات منخفضة فى هذا الشهر ، ولو إنه رأى والدها الشهادة فإنه من الممكن أن يعاقبها ويحرمها من أشياء كثيرة كالمصروف مثلاً .

وقفت حائراً ، هل تخبر والدك بذلك أم تلزم الصمت ؟ لم أو لم لا ؟

أسئلة :

١– إفترض إن أختك أخبرتك بإنه إذا وشيت بها فسوف تحدث والدك عما بدر منك فى المدرسة فى الأسبوع الماضى ؟ هل يغير ذلك من موقفك ؟ لم أو لم لا ؟

٢– ما الذى يجب أن يأخذه الأخ فى الإعتبار فى علاقته بأخته ؟

ولماذا كان هذا الشئ مهماً ؟

٣– هل أنت ملزم كأحد أفراد الأسرة بأن تخبر والدك بما حدث ؟ لم أو لم لا ؟

٨– إمتحان العلوم

(إبتدائى / إعدادى)

ذاكرت (منى) كثيراً لإمتحان العلوم . وفى حصة الإمتحان وقبل أن يوزع المعلم ورقة الأسئلة حذر الفصل بإنه إذا شاهد أى تلميذة تتحدث فإنه سيلغى إمتحانها ويعطيها صفراً . وبينما كانت (منى) مشغولة بالإجابة عن الأسئلة سألتها (شيرين) التى تجلس بجوارها عن إجابة سؤال لم تعرفة . فأشارت اليها (منى) بعدم الكلام . لمح المعلم (منى) وظن إنها هى التى تتحدث وسحب ورقة إجابتها . حاولت (منى) أن تقنعه بإنها لم تكن تتحدث ، وإن زميلاتها (شيرين) هى التى تحدثت اليها طالبة إجابة السؤال ، لكنه لم يقتنع ، فى ذلك الوقت لزمت شيرين الصمت ولم تعترف بخطئها .

هل يجب أن تلزم « شيرين » الصمت ؟ لم أو لما لا ؟

أسئلة :

١– ما رأيك فى موقف المعلم ؟ لو إنك مكانه كيف كنت ستتصرفين ؟

٢– لو إنك فى مكان « شيرين » ، هل كنت ستخبرين المعلم بحقيقة ما حدث أم تلزمين الصمت كما فعلت ؟ ولماذا ؟

٣– ما الأشياء الأخرى التى يمكن أن تفعلها (منى) لمعالجة الموقف ؟

٤– إذا تحرك ضمير « شيرين » وأخبرت المعلم بحقيقة ما حدث ، هل يعاقبها المعلم أو يعفو عنها ؟ ولماذا ؟

٥– كيف يجب أن يكون رد فعلك للتصرفات الغير العادلة ؟

٩- الدراجـــة

(إعدادى)

كنت مستمراً فى إدخار مصروفك لمدة عام لشراء دراجة . وبعد أن تمكنت من إدخار المبلغ اللازم لشرائها كان قد إنتهى العقد الذى يعمل به والدك فى شركة تجارية ولم تجدد الشركة له العقد لإفلاسها . وأصبحت ميزانية الأسرة محدودة . وأنت ترغب بشدة فى شراء دراجة ، ولكن والدتك كانت أيضاً فى حاجة الى نقود لسداد فواتير الكهرباء ، ولشراء طعام للأسرة .

مـاذا تفـعل ؟ هل تشـترى الدراجـة أم تعطى النقود لوالدتك ؟ ولماذا ؟

أسئلة :

١- كيف تقرر إذا ما كانت رغباتك أم رغبات أسرتك تأتى فى المقام الأول ؟

٢- ما الذى يجب أن يتوقعه الآباء من الأبن أو الأبنة ؟ ولماذا ؟

٣- هل إلتزام الأبناء نحو الآباء يعتمد على ما فعله الأباء للأبناء ؟ لم أو لم لا ؟

٤- أيهما أسوأ أن تعانى أنت أم أن تدع أسرتك تعانى ؟ ولماذا ؟

٥- لماذا يمكن أن تشعر بعدم إرتياح أو بضيق إذا أشـتـريت الدراجـة ولم تعط النقـود لأسرتك ؟

١٠- الإصابة فى حادث

(إعدادى)

كانت الفتاة تحاول الجلوس على مقعدها. وإذا بزميلتها تحرك الكرسى من خلفها . لم تكن الزميلة تقصد إيذاء الفتاة ولكنها أرادت أن تجذب إنتباهها . سقطت الفتاة على الأرض وكسر ظهرها .

هل الزميلة مسـئولة عن كسر ظهر الفتاة ؟ لم أو لم لا ؟

أسئلة :

١- الناس دائماً يمزحون وقد يؤدى ذلك الى إصابة البعض أحياناً .

متى تعتبرين الشخص مسئولاً عن نتائج الحادث ؟

٢- مـا هو الإهمـال ؟ هل يكون الشـخص مسئولاً عن أى ضرر يتسبب فيه إهماله ؟ لم أو لم لا ؟

٣- هل تعرفين بعض حالات تسبب فيـها الأهمال فى إيذاء الآخرين ؟

٤- من وجهة نظرك ، كيف يمكن أن يتجنب الشخص إيذاء الآخرين بطريق الخطأ ؟

١١- الصحراء

(إعدادى / ثانوى)

اضطر شخصان الى عبور الصحراء وعند بداية الرحلة كان مع كل واحد منهما كمية متساوية من الماء والطعام ، وفى منتصف الطريق كسرت زمزمية أحدهما وتدفقت منها المياة . ويعلم الشخصان تمام العلم إنهما اذا تقاسما ما تبقى من مياه فإنه من المحتمل أن يموتا من العطش .

كيف يتصرفان إذكر أسباباً لإجابتك .

أسئلة :

١- إفترض إنهما قررا قبل الرحلة أن يأخذ كل واحد منهما كمية كبيرة من الماء ولكن كل منهما حمل نصف الكمية المفروض حملها، هل يكون لذلك إعتبار حين يقرران من يجب أن يعطش أومن يجب أن يموت ؟ لم أو لم لا ؟

٢- إذا كان عليك أن تختار بين أن تموت أو أن تدع غيرك يموت ؟:

كيف تقرر ؟ ولماذا ؟

إفترض أن الشخصين زوج وزوجة ، هل يجب أن يغير ذلك من الأمر ؟ كيف ؟

٤- هل يجب أن يتقاسم الرجل الماء مع زميله حتى ولو كان ذلك يعنى إحتمال موتهما؟ أو يجب أن ينقذ نفسه ؟ ولماذا ؟

١٢- الرعاية الصحية

(إعدادى / ثانوى)

كان الطفل يلعب بعلبة دواء مليئة بالأقراص ، ظن إنها حلوى وبلع كمية كبيرة منها . وعندما إكتشف والديه ذلك حملاه بسرعة الى أقرب مستشفى خاصة فى الحى وعندما وصلا الى المستشفى أخبرهما الموظف بالإستقبال إنه لا بد وأن يدفعا مصروفات المستشفى مقدماً . ولم يكن لديهما القدر المطلوب من المال ، ورفضت المستشفى معالجة الطفل . حاولا الوالدان أخذه الى مستشفى أخرى ولكنه مات فى الطريق من تأثير التسمم . هل تعتقد أن المستشفى على حق أم لا ؟ ولماذا ؟

أسئلة :

بعض الناس يزعمون أن الحكومة يجب أن تدفع للمستشفيات الخاصة مصروفاتها والأطباء مرتباتهم وبذلك تحقق مجانية العلاج، وفى رأيهم إن للمستشفيات الخاصة يجب ألا تكون مجالاً للتجارة بل مكاناً يجد فيه جميع الناس ما يحتاجونه من رعاية صحية بصرف النظر عن إختلاف قدرتهم على الدفع .

١- ما رأيك فى القول السابق ؟ هل تتفق أو لا تتفق معه؟ولماذا ؟

٢- فى إعتقادك ، هل يجب أن يرغم الأطباء

على العمل للحكومة ؟ ما مزايا ومساوئ ذلك ؟ .

٣- هل الرعاية الصحية شئ كمالى يجب أن يكون قاصراً على من يستطيع الدفع ؟ أم هو حق أساسى من حقوق الإنسان يجب أن يتوافر لكل فرد ؟ ولماذا ؟

٤- هل يمكن أن نعتبر المستشفى مسئولة عن موت الطفل فى القصة السابقة ؟ لم أو لم لا ؟

١٣- نقل أعضاء الميت

(ثانوى)

كادت الفتاة تموت فى المستشفى وهى لازالت فى سن العشرين . فقد كانت مصابة بفشل كلوى حاد ، وكانت فى حاجة الى جراحة عاجلة لإستبدال إحدى كليتيها بأخرى سليمة . ورغم إعلان المستشفى عن طلب متطوعين ، لم يتقدم أحد بالتطوع بإحدى كليتيه ، وفى اللحظة التى بدأ اليأس يتسرب فيها الى الأطباء ، قدم الى المستشفى رجل مصاب فى حادث سيارة ، كانت إصابته شديدة وفارق الحياة فى حجرة العمليات، وفكر الطبيب المعالج للفتاة فى إمكانية إنتزاع إحدى كليتى الرجل ونقلها للفتاة ، ولم يكن الرجل قد أبدى إستعداده للتطوع بكليتيه قبل الوفاة ولم يكتب إقراراً بذلك .

هل يجب أن ينقل الطبيب كلية الرجل المتوفى للفتاة لينقذها من الموت ؟ لم أو لم لا ؟

أسئلة :

١- الطبيب يعلم إنه غير شرعى أن ينقل أى عضو من شخص متوفى بدون موافقته قبل الوفاه . هل يجب أن يؤثر ذلك فى قراره ؟ لم أو لم لا ؟

٢- إذا قرر الطبيب أن يطلب من زوجة الرجل المتوفى إذناً بنقل إحدى كليتيه الفتاة ماذا يجب أن تفعل ؟ ولماذا ؟

٣- ولنفرض إن الزوجة تعرف إن زوجها كان ضد نقل أى عضو من شخص بعد وفاته . ماذا يجب أن تفعل فى هذه الحالة ؟ ولماذا؟

٤- ولنفرض إن الزوجة تشعر تماماً بإنه من الخطأ أن تدع الفتاه تموت ، إذن ماذا يجب أن تفعل ؟ ولماذا ؟

٥- هل يجب أن يعطى القانون الناس الحق فى رفض نقل أعضاء الشخص المتوفى لشخص آخر ؟ لم أو لم لا ؟

٦- هل تشعر بإنه نوع من الإلتزام الأخلاقى أن تسمح بنقل أعضاء جسمك بعد الوفاة ؟ لم أو لم لا ؟

١٤ الملكية المسروقة

(ثانوى)

كان الشاب ينوى إعلان خطوبته ، ورغب فى أن يهدى خطيبته خاتماً ماسياً . ولم يكن لديه مال كثير ولكنه أراد أن يشترى لها خاتماً جميلاً . ذهب الشاب لمحل المجوهرات لشراء الخاتم ولكن ثمنه كان غالياً.

وفى يوم قال له صديقه : إنه يعرف شخصاً يبيع الخواتم الماسية بربع ثمنها الأصلى . ذهب معه لهذا الشخص ، وبعد التحدث معه إكتشف إن البضائع التى يبيعها مسروقة .

ماذا يفعل الشاب فى هذا الموقف ؟ ولماذا ؟

أسئلة :

١- إذا كان الشاب يحب خطيبته ويعلم إنها ستغضب إذا لم يشتر لها خاتماً من الماس ، هل يجب أن يؤثر ذلك فى قراره ؟ ولماذا ؟

٢- ماذا لو إنه أراد أن يشترى عربة ليذهب بها لعمله ، ولكنه لا يملك ثمنها ، هل يشترى عربة مسروقة بمبلغ أقل ؟ ولماذا ؟

٣- هل يجب أن يكون هناك قانون يمنع ملكية الأشياء المسروقة ؟ لم أو لم لا ؟

٤- ماذا يجب أن يكون الهدف من وضع هذا القانون ؟

٥- ما أفضل سبب يمكن أن تبرر به القول إنه من الخطأ شراء الملكية المسروقة ؟

٦- ماذا يحدث لو إمتنع كل فرد عن شراء أشياء مسروقة ؟

١٥- قصة السيد خليل

(إعدادى / ثانوى)

كانت توجد قضية معروضة على المحكمة خاصة برجل يدعى (السيد خليل) وقع لأبنه (طارق) حادث فى المنزل وجرح فى صدره ونزف بغزاره حتى إن ملابسه تلطخت بالدماء . كان الطفل مفزوعاً وأخذ يصرخ حتى فقد وعيه ، فزع الآباء وأخذت الأم تصرخ وتبكى فقد ظنت إن إبنها مات ، ظل الأب متردداً للحظة ثم حمل إبنه وجرى به على السلم متجهاً للخارج على أمل أن يجد « تاكسى » فقدظن أن الحصول على (تاكسى) سيكون أسرع من طلب سيارة الأسعاف ، ولكن للأسف لم يجد « تاكسى وفى الطريق وإزداد النزيف سواءاً .

وفجأه لمح « السيد خليل » رجلاً يدير سيارته ، فجرى نحوه ورجاه أن يأخذه لأقرب مستشفى ، أجاب الرجل قائلاً : « أنظر أنا عندى ميعاد مع رجل بخصوص وظيفة مهمة . ويجب أن أذهب اليه فى الميعاد المحدد . كنت أود أن أساعدك ولكنى لا أستطيع » عندئذ طلب « السيد خليل » من زوجته أن تحمل الطفل ، وإذا به يسحب الرجل خارج العربة ويضربه ويأخذ المفتاح ويقود

السيارة بزوجته وإبنه لأقرب مستشفى ، وطبعاً نهض الرجل من الشارع وطلب الشرطة وأخذهم للمستشفى ، وقبض على « السيد خليل » بتهمة سرقة العربة والتعدى على شخص بالضرب .

هل كان « السيد خليل » على حق فيما فعل ؟ لم أو لم لا ؟

أسئلة :

١- ما المشكلة هنا ؟

٢- هل كان الرجل قانونياً مخطئاً عندما رفض أن ينقل « السيد خليل » وإبنه الى المستشفى ؟

٣- لماذا لا يقع عليه مسئولية قانونية ؟

٤- هذا الرجل الذى رفض إعطاءه السيارة « للسيد خليل » لم يكن قانونياً مخطئاً ، فأنت لا تستطيع محاكمته أو تقديمه للمحاكمة . ولكن هل تعتقد أنه مخطئ بأى صورة من الصور أو بشكل ما ؟

٥- أيهما أكثر أهمية فى إعتقادك ، فقدان وظيفة أم إنقاذ حياة شخص ؟

٦- ماذا عن « السيد خليل » هل ما فعله يمكن تبريره قانونياً ؟ هل يمكن تبريره أخلاقياً ؟

٧- والآن قدم « السيد خليل » للمحكمة ، هل يجب أن يفرض عليه القاضى عقوبة أم يفرج عنه ؟ ولماذا ؟

١٦- بنك الدم

(ثانوى)

كان الرجل فى حاجة شديدة الى المال ، ولم يستطيع الحصول عليه من أحد ، وسمع البعض إن هناك بنوكاً للدم ، ذهب الرجل الى أحد هذه البنوك ليبيع قدراً من دمه . وبعد أن فحصته الطبيب قرر إنه من الخطورة على حياته أن يؤخذ دمه ، قال الرجل إنه لا يهتم بذلك وإنه فى حاجة الى النقود .

ماذا يفعل بنك الدم فى هذه الحالة ؟ هل يأخذ من الرجل دمه ؟ لم أو لم لا ؟

أسئلة :

١- إذا أخذ البنك من الرجل دمه وأصابه ضرر نتيجة ذلك ، هل يعتبر البنك مسئولاً عن ذلك ؟ ولماذا ؟

٢- إفترض إن الرجل كتب إقراراً على نفسه ، هل يظل البنك مسئولاً عن أى ضرر يصيبه ؟ لم أو لم لا ؟

٣- هل يختلف قرارك إذا كان الرجل مصاباً بمرض وإنه من الخطورة نقل دمه لشخص اخر ؟ لم أو لم لا ؟

٤- هل يجب أن تكون هناك بنوكاً للدم ؟ لم أو لم لا ؟

١٧- الأولاد والبنات

(إعدادى / ثانوى)

الأسـرة لديهـا توأم (ولد وبنت) فى الثانية عشرة من عمرها . كان الولد أكثر حرية من البنت يخرج وقتما يشاء ، والآباء نادراً ما يسألانه متى سيعود أو مع من هو ذاهب ، فلم يكن ذلك يقلقهم كثيراً .

أما بالنسبة للبنت فقد كان الأمر مختلفاً ، كانا أكثر تشددا معها ، دائماً حريصان على معرفة مع من هى ذاهبة وماذا تفعل ، وإذا خرجت فلا بد أن تكون بالمنزل قبل الثامنة مساءً .

فى إعتقادك لماذا يعامل الآباء الأولاد بصورة مختلفة عن الفتيات ؟

أسئلة :

١- هل هذا التمييز فى المعاملة له ما يبرره ؟ ولماذا ؟

٢- هل من حق الآباء أن يفرضوا وجهات نظرهم الأخلاقية على الأبناء ؟ لم أو لم لا ؟

٣- هل من حق الآباء أن يضعوا قواعد لأولادهم ؟ ما القواعد التى تعتبرها عادلة أو معقولة ، وما القواعد التى تعتبرها غير عادلة أو غير معقولة ؟ ولماذا ؟

الباب الثانى

النمـو الإيمانى

عند الإنسـان

الفصل الثالث

ملء قامة المسيح

مراحل النمو الإيماني للإنسان

الإيمان بذرة تنمو، ففي داخل كل منا يوجد إقتناع مرجعي قوي تجاه أمر ما ، وهو ما نسميه الإيمان .

ولكن لكل شخص طريقة يعبر بها عن هذا الإيمان ، فهل هذا مرتبط بثقافة الشخص؟ ، أوهذا التعبير عن الإيمان ، هل له علاقة بالأعراف الإجتماعية؟ ، وهل المحتوى النفسي للشخص يؤثر في طريقة تعبيره عن الإيمان ؟ هذه بعض مواضيع هذا الفصل.

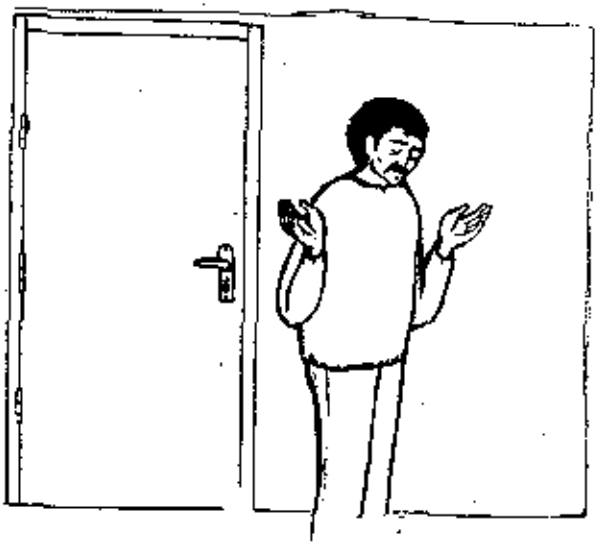

هذا الفصل يناقش :

صورة شخصية

[أم هنا والأستاذ ورستم]

فكر معـــنا ..

*** مقدمة**

*** تعريف الإيمان عند فاولر :**

- الإيمان عقيدة
- الإيمان علاقة.
- الإيمان ثقـــة .

*** دراسة ألوبرت للإيمان الناضج :**

العوامل المؤثرة على نمو الإيمان

١ ـ الإحتياجات الجسدية.

٢ ـ الإحتياجات النفسية (دراسات إبراهام مازلو)

٣ـ المزاج النفسى أو الطباع .

٤ ـ فلسفة الإنسان الشخصية

٥ ـ البيئة .

*** نظرية فاولر فى النمو الإيمانى :**

ملخص النظرية ـ مراحل الإيمان الستة.

ـ صعوبات النظرية

ـ تأملات تطبيقية.

خلاصة .

أسئلة للمراجعة .

صورة شخصية

أم حنا والأستاذ رستم

أمام أيقونة السيد المسيح ، وقفت أم حنا، وهى تحمل بين يديها هذا الإبن الجديد الذى وهبها الله إياه - وقفت أمام الأيقونة وفى داخل قلبها أمنيات عديدة جميلة للإبن الجديد، وأحلام تتمنى من الله أن يحققها له.

وأخذت أم حنا تتبركك من الأيقونة، فتمسح بيديها زجاج الأيقونة ثم تنقل هذه البركة، إلى جسدها وجسدا إبنها ... لأم حنا طريقتها فى التعبير عن إيمانها البسيط... ولم تنس أم حنا أن تضىء شمعة بإسم طفلها وتضعها أمام الأيقونة، وقدمت أيضاً صلاة من أجل زوجها وهى تعلم أن الله لايمكن ألا يستجيب..

أما زوجها الأستاذ رستم فهو رجل إعتاد كلما إشتاق إلى سماع صوت الله أن يضع الكتاب المقدس أمامه ويقرأ فيه بتأمل ، ويعمل عقله فى كل آية من الآيات، هو يشعر أن الله قريب، وأنه بتأمل الكتاب المقدس يستطيع أن يصل بعقله إلى قلب الله، هو أيضاً يعبر عن إيمانه بطريقته الخاصة... وهو يعتقد أن الله يقبل كل طلباته..

فكـر معـنا

ناقش العبارات التالية :

١ ـ إفـتـرض الدارسـون أن النمـو الإيمانى يحتاج إلى أن يصل المرء إلى مستوى راق من النمـو الفكرى ، الذى لايكتـمل قبل المراهقة ، حتى يستطيع الفتى أن يتعامل مع الـرمـوز (مثل الله نور) والمجـردات مثل (الحب المطلق أو الكمال أو الوجود فى كل مكان) فـيـفـهم الله ويسلم له قـيـادة حياته.

٢ ـ إن كانت نعمة الله المعدية تغير الشخصية وتطبع بصماتها على السلوك ، فتحـول العنيف رقـيـقـاً والخـاطىء طاهراً. إلا أن العكس أيضاً صـحـيح ، فنمط الشـخـصـية يؤثر تأثيراً واضـحـاً على أسلوب التـديـن وشكله النهائى .

٣ ـ النمو الإجتماعى والشخصى يزود الشخص بنقاط القوة، كما يشكل العقبات التى تؤثر فى تشكيل إيمانيـاته ونموه الروحى فى علاقته مع الله.

٤ ـ إقرأ إصحاح ١١ من رسالة العبرانيين.

عـرف الإيمان فى ضـوء هذا النص تكلم عن فـاعليـة الإيمان من خـلال هذا الإصحاح.

ما هو الإيمان ؟ هل هو عقيدة أم قوة؟ هل هو نعمة أم جهاد؟ هل هو بداية أم نهاية؟ هل هو نشاط للعقل أم للقلب أم للإرادة؟ هل نستطيع أن ندرس الإيمان أو أن نفرسه؟ هل توجد مراحل للنمو الإيماني كما وجدنا أن هناك مراحل للنمو في المجالات الأخرى: الجسدي، العقلي، الخلقي، النفسي، الإجتماعي ؟ هذه هي بعض الأسئلة التي سيحاول هذا الفصل إجابتها، رغم قلة الدراسات التي عملت في هذا الموضوع، ورغم صعوبة إخضاع الإيمان كظاهرة للمقاييس العلمية.

ولكن الذي يفيدنا هنا بدرجة كبيرة هو وجود خبرة متراكمة على مدى سنوات طويلة في التربية الدينية لدى المعلمين والقادة الروحيين.

وفي الواقع أن موضوع هذا الفصل يحتل مركزاً هاماً ويعتبر بمثابة القمة للعمل التربوي، فالنمو في الإيمان (أو النمو الروحي) هو الهدف الأسمى للتربية الدينية، ومن أجله قمنا بدراسة مراحل النمو الأخرى بالتفصيل. فلنقترب إذاً بخوف ورعدة وبروح الصلاة لنشاهد هذا المنظر العظيم « الله في الإنسان » .

تعريف الإيمان عند فاولر :

أما الإيمان الذي نحاول تعريفه فهو تلك القناعة بوجود أسمى من وجودنا، بحقيقة عظمى، بحق مطلق، بنقطة مرجعية يستند إليها الإنسان، وتسند إليها تصرفاته وتقاس بها. وفي إيماننا المسيحي(الله) ليس هو فقط المطلق والحق والكمال، بل هو أيضاً إله شخصي، يدخل معنا في علاقة. هو إله إبراهيم وإسحق ويعقوب، لا إله العلماء والفلاسفة.

فالإيمان فعل وليس إسماً

هو (عملية) الإعتقاد أو التصديق.

ليس هو إسم : Faith

أو إعتقاد : Beleif

ولكنه فعل مستمر Beleiving or Faithing

+ و أكثر من يفيدنا في محاولة الإجابة عن السؤال الخاص بما هو الإيمان ، هو «فاولر» James Fawler العالم اللاهوتي الأمريكي الأشهر، الذي قام بدراسة على أربعمائة من الأفراد بين الرابعة والثمانين من العمر إستغرقت عدة سنوات من ١٩٧٦ - ١٩٨٠، ولازالت أبحاثه مستمرة في معهد مخصص لدراسة النمو الإيماني. ويلاحظ فاولر أن الإيمان ينطوي على ثلاثة معان :

١ - الإيمان عقيدة : Belief

هو مجموعة من الحقائق أو المعتقدات

التى يعتنقها الشخص أو الجماعة، ويعتبرونها ذات قيمة فى إعطاء إطار عام للحياة ككل، بحيث تعتبر مرجعاً لها Ultimate Environment.

ولكن هذه المعرفة تتضمن معرفة عقلية وقلبية، لأنها تستخدم الذهن والشعور كليهما.

٣ـ الإيمان علاقة : ACT (Love)

فهو فى حالة المسيحية إنشغال بهذا الإله، وإرتباط به. ولأن الله فى المسيحية شخص، وليس فقط حقيقة أو مطلق فلسفى مجرد، فإن هذه العلاقة تأتى كعلاقة بين شخصين، بين المتكلم والمخاطب

Thou -1- وهذه العلاقة كما يقول الكاتب اللبنانى الكبير «كوستى بندلى» تتطلب موقفاً كيانياً.

فالله ليس فكرة تدرك بل شخص يلاقى.

يقول مارك أوريزون :

« ليس الإيمان إيماناً بأفكار أو مذاهب، إنما يؤمن الإنسان بشخص يحب ».

لذا لانقول فى دستور الإيمان: «أؤمن أن الله موجود، أو أن هناك إله يهيمن على الكون، بل «أؤمن بإله (بشخص) واحد، أب ضابط الكل...».

٣ـ الإيمان ثقة : Trust

إلا إن هناك معنى أبعد للإيمان ، وهو الثقة التى تفترض عناية شخص أكبر وأقدر بآخر ، يبثه نفس الثقة ويدين له بالولاء والإلتزام.

يقول كوستى بندلى :

« إن الإلتزام من شخص تجاه شخص آخر مبنى على ثقة، والإيمان فى أساسه، ثقة، كما تشير العبارة نفسها: أمِن به: أى أمن له، أمنَه على نفسه.

ثقة لايدعمها أى يقين حسى أو فعلى فالصديق يؤمّن صديقه على أثمن مالديه مع أنه يستحيل عليه، كما يقول (الآن رتيشاردسون)، أن يبرهن أن هذا الصديق لن يطعنه فى اليوم التالى فى ظهره. فالمحب يربط حياته نهائيا بمن يحبه، واثقاً بأنه سيبادله حبه وأمانته، والوالدان يكسران ذاتيهما لأولادهما ، واثقين بأن تربيتهما ستثمر فيهم، بل إن «إيمان» الوالدين بالطاقات الكامنة عند ولدهما شرط أساسى، كما يقول (فروم) لتحقيق هذه الطاقات. فالمحبة كما يقول هذا المفكر هى أن يخاطر الإنسان دون ضمان،

وأن يسلم نفسه دون تحفظ، راجياً أن محبته ستولد المحبة عند المحبوب. المحبة فعل إيمان، ومن كان قليل الإيمان كان قليل المحبة، ومن مقومات العلاقات الإنسانية، الوعد الذي به يلتزم المرء تجاه الآخرين. لقد قال (نيتشه) «أنه يمكن تعريف الإنسان بقدرته على الوعد» ولكن الوعد يفترض «إيمانا» بوجود «نواة» في شخصيتنا تستمر رغم الظروف المتقلبة التي نجتازها، ورغم التغيرات التي تطرأ على آرائنا ومشاعرنا. وعلى هذا (الإيمان) بأنفسنا تستند وعودنا، وعليه أيضاً تستند ثقتنا بأن الآخرين سيبقون كذلك ثابتين في مواقفهم الأساسية ولن يخيبوا رجاءنا. فالإيمان والثقة والوعد إذاً مفاهيم مرتبطة بعضها ببعض.

ونخلص من هذا بأن الإيمان ليس مجرد عقيدة نعتنقها أو فكرة ندين بها وإنما فعلاً نفعله إذ نضع ثقتنا في شخص ندين له بالولاء ونثق في عنايته ومحبته.

دراسات ألبورت للإيمان الناضج:

صفات الإيمان الناضج:

لكي يكون الإيمان ناجحاً مثمراً لابد أن يتوافر فيه عدة شروط أجملها ألبورت Golden Allport في عدة صفات. وتعتبر هذه الصفات أهدافاً مرحلية يجب على خادم التربية الدينية أن يسعى لكي تتوفر عند حديثي الإيمان،حتى يترقوا في درجات الفضيلة والكمال.

ونلاحظ أن صفات الإيمان وإن أتت في تعبيرات ألبورت متمايزة ومنفصلة ، إلا أنها في الواقع تأتي متداخلة متصلة، وإنما جاء التحليل بهدف الشرح والتبسيط.

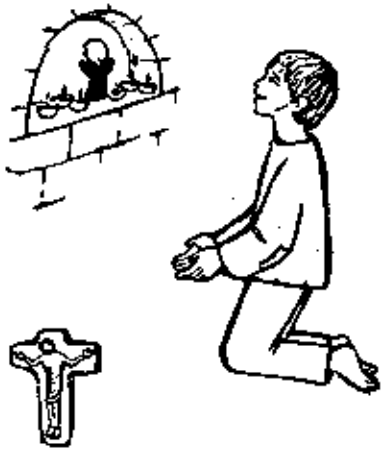

الإيمان الناضج شخصي داخلي :

فإيمان الطفل أو إيمان المبتدىء نسخة من إيمان الأسرة أو الكنيسة أو القبيلة التى يتبعها - هو إيمان وراثى، وإن كان الإيمان هو أغلى مايرثه المرء إلا أنه تأتى لحظات حين يجب على كل منا أن يجعل الإيمان إيمانه الخاص. حين يبطل ما للطفل ويلبس ما هو للبالغين. فيجعل الإيمان إلتزاماً داخليا عن إقتناع شخصى . فهو إيمان - يتسم بطابعى الخاص، إيمان فى إنفعالاتى، فى قوتى وضعفى،إيمان يستحوذ على فكرى وإرادتى وعملى، فهو إذا إيمان شخصى داخلى.

٢ - الإيمان الناضج إيمان حركى باذل :

سواء كان فى البالغ حديث الإيمان أو فى الطفل فإننا نجد الإيمان الناقص يتجه نحو الذات بمطالبها ولذاتها. وبالعكس فالإيمان الكامل يأتى سيداً لاعبداً. موجهاً للشخص لاموجهاً منه، نحو مطالبه الخاصة وذاته المنغلقة فى مخاوفها ورغباتها، فالهدف عنده لم يصبح الأنا.

وهذا الإيمان الحركى ليس تعصبياً ولاقهرياً، فالتعصب حركة يتبناها غير الكاملين فى الإيمان ، لأجل إستبعاد من ليسوا على شاكلتهم أو عقيدتهم. وقد يكون المتعصب غيوراً وديناميكياً، ولكن إيمانه مع ذلك ليس كاملاً، لأنه لاينظر نظرة عادلة لأصحاب العبادىء والأديان الأخرى. فالإيمان الناضج متسع محب للكل بلا حدود، حتى وإن كان يشعر أنه على صواب، إلا أن الآخرين لا يجانبون الصواب تماماً. ويلازم التعصب نوعاً من القهر والإجبار ، يجعل المتدين يفترض أن الصواب شىء ملزم للآخرين، وليس فقط للشخص نفسه . والمفروض أن يكون الإنسان متشدداً مع نفسه بدرجة أكبر من تشدده مع الآخرين.

٣ - الإيمان الناضج شامل عامل:

فهو يشكل فلسفة كاملة للحياة ، ويجمع الأجزاء المختلفة فى معنى كلى وأطار عام. كما أنه يؤثر على الشخصية بطريقة ثابتة مستمرة ، فيشكل قاعدة لاتتغير للسلوك الأخلاقى، ويوجه الفعل عند الإنسان بطريقة فعالة بحيث يأتى مايفعله مبنياً على - أومطابقاً - لمايؤمن به.

٤ - الإيمان الناضج صابر محتمل :

فهو يجمع الجانب المضىء والمظلم من حياة الإنسان معاً ، ويساعده على مواجهة المشاكل. والشخص ذو الإيمان الناضج يكون جاداً ولكنه غير عابس . وهو فى إتضاعه

يحتمل نقائصه الشخصية كما يحتمل ضعفات الآخـــرين. وعندمـــا أراد الناس رجم المرأة الزانية طلب منهم المسيح أن يفحصوا أنفسهم بالنظر إلى دواخلهم ليـروا هل هم أنفـســهم بلاخطية. وهكذا فإن الإيمان الناضج يعرف محـدودية الإنسـان، ويحـتمل من أجل ذلك نفسه والآخرين.

الإيمان الناضج قوة موجهة :

ليست غاية الإيمان في ذاته، ولكنه قوة دافعة على الفعل كالدور الذى يقود السائر فى الطريق، وهو القوة التى تدفع على النمو والتى حث بولس الرسول على إقتنائها حين طلب من أهل كـورنثوس أن يبطلوا مـا هو للطفل لينموا إلى قـامـة أعلى، وهو الذى دفع موسى إلى عبور البحر الأحمر وترك أرض العبودية، كما دفع الشاب الغنى إلى عدم الإكتفاء بما هو عليه. فالإيمان المسيحى يتطلب تبعية مطلقة (أتبعنى)، وهى تبعية من كل القلب حتى أن لم يكن العقل مقتنعاً تماماً، ورغم من ليالى الشك التى قد تمر بها النفس، يعيش المرء فى إيمان يدفعه إلى التسليم والإلتزام والتكريس، حتى يصل المؤمن إلى مرحلة لاتعوقه فيها الشكوك أو المخاطر أو الآلام، فالإيمان يحـول الأمل إلى واقع والإمكانية إلى حقيقة.

العوامل المؤثرة على نمو الإيمان :

الإيمان دعوة إلهية وإستجابة بشرية، فالله يدعـو الكل ويخـتـار الكل، بالطبع لكل عمله ورتبتـه، ولكن إسـتـجـابة البشر تأتى متغايرة ومتباينة، فما هى الأسباب ؟

لماذا ينمـــو إيمان بعض الأشـــخـــاص ويضـمر إيمان البعض الآخر ؟ يرى ألبورت أن هناك عـوامل تؤثر على مـعـدل النمـو الإيمانى فتزيده إسراعاً أو تقلل من جريانه، وقد توقفه تماماً عند مرحلة، وهذه العوامل هى : ١- الإحتياجات الجسدية ٢ - الإحتياجات النفسية ٣ - المزاج النفسى أو الطباع ٤ - فلسفة الإنسان الشخصية ٥- البيئة.

أولا : يتـــــأثـر النمـــــو الإيمـانـي بالإحتياجات الجسدية :

كالإحتياج إلى الطعام والشراب والمأوى،

أو الإحتياج إلى الصحة والأمان . وهذه قد تكون من مثبطات الإيمان ، وكثيراً ما تكون طرقاً للوصول إلى الله ، كذلك قد تكون من معطلات الإيمان.

ثانيـــاً : يتـــأثر النمـــو الإيمانى بالإحتياجات النفسية :

وقد أسماها ألبورت أيضاً بالإحتياجات المعنوية كالحاجة إلى الخير والحق والحق والقداسة، أو الرغبة فى البحث عن الجمال والسعادة والعدالة والتوافق والوحدة. وقد نختبر هذه المشاعر فى لحظات تجلى ، عندما نشاهد غروب الشمس مثلاً ، أو تصلى طالبين من الله السلام عندما نشعر أنه يعوزنا.

وقد يكون من المناسب هنا أن نتوقف قليلاً لنشير إلى دراسات عالم شهير من علماء النفس المعاصرين وهو (إبراهام مازلو) Maslow ، وقد إستطاع ببراعة تدعو للإعجاب أن يرتب الإحتياجات الإنسانية فى هرم أطلق عليه «هرم مازلو». وتتلخص نظريته فى أنه لايمكن تحقيق الذات إلا بإشباع رغبات معينة ولو جزئياً، ثم تجاوزها إلى رغبات أعلى منها،وتقع الإحتياجات الجسدية فى قاعدة الهرم، يعلوها الحاجة إلى الأمان، ثم الحاجة إلى الحب، فالإحترام فتحقيق الذات ، وهكذا تأتى الإحتياجات المعنوية والروحية فى قمة الهرم بعد إشباع الإحتياجات الدنيا.

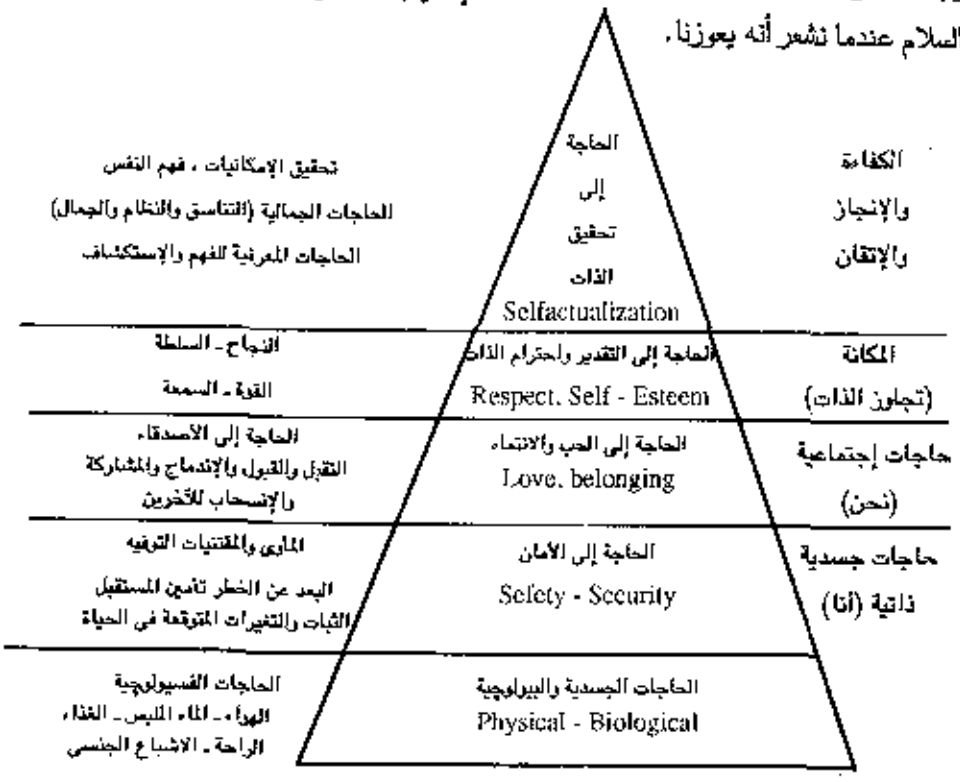

ونشير هنا إلى نقطة أخرى هامة من نقاط نظرية مازلو ، وهي الخبرة العميقة Peak experiences أو لحظات الذروة، وهو إصطلاح يشير به مازلو إلى أفضل لحظات الحياة ، حين يشعر الإنسان بخبرة عميقة مقرونة باللذة والنشوة، التي تفوق السعادة العادية ، وقد تغمره بإحساس بالتجلي أو الذهول. ولايختبر هذه الإنفعالات القوية الراهب أو المتصوف أو الكاهن في القداس فقط، بل يختبرها أيضاً العالم حين تنجح تجاربه، والتاجر حين يحقق قفزات مالية (في البورصة مثلاً)، والسياسي حين ينجح، ولاعب الكرة حين يحرز هدفاً، والطالب وقت تسلم شهادة النجاح.

وصل مازلو إلى ما وصل إليه حين أجرى تجاربه ليس على مرضى النفس أو المعقدين أو أصحاب المشاكل ، بل على أنجح رجال في العالم وأكثرهم شعوراً بتحقق ذواتهم. وقد وجد أن فجر حياتهم قد إمتلأ بلحظات الذروة بوفرة تفوق أقرانهم من غير الناجحين.

ونعود إلى موضوعنا في النمو الإيماني لنقول إستناداً على أبحاث كل من ألبورت ومازلو أن النمو الإيمان يتأثر بمقدار تحقيق الحاجات الدنيا، والقدرة على تجاوزها إلى مطالب إنسانية أعلى، فلا يستطيع أن يحب أو يعطي من كان جائعاً أو مسجوناً أو مهدداً، كذلك فإن كان الإيمان ينمو بقدر نجاح الإنسان في تلبية إحتياجاته الأقل رقياً في هرم التطور، ويقول مازلو ما معناه أننا لانستطيع ألا نقلق. ولكننا يجب أن نقلق دائماً من أجل أهداف أعلى، فيؤرقنا غيبة القيم أو نقص الجمال. فالذي يشبع من الخبز يؤرقه عدم إنسجام الألوان في حجرته وهلم جرا. والعكس صحيح فالذي لديه إحتياجات نفسية غير مشبعة لايقدر بسهولة أن يقفز إلى قمم الإيمان العليا.

ثالثاً : يتأثر النمو الإيماني بالمزاج النفسي أو الطباع :

أشرنا في دراستنا للحاجات النفسية وعلاقتها بالإيمان إلى نظرية العالم الأمريكي مازلو في علم النفس . ولكي نفهم النقطة التي نحن بصددها ، وهي تأثر الإيمان بالمزاج الشخصي أو الطباع ، يجب علينا أن نلخص في عجالة بعض جوانب نظرية عالم آخر يعتبر من أشهر تلاميذ فرويد،وهو العالم السويسري كارل يونج Carl Jung .

ويصدق يونج في تحليله للشخصية حين يبين كيف تتجاذبها أقطاب أربعة : التفكير وعكسه الشعور ، والإحساس وعكسه الحدس.

فالشخصية المفكرة تختلف عن الشخصية العاطفية ، فالاخيرة تعتمد على الشعور والعواطف في معظم تصرفاتها ويأتي

العقل بعد والتفكير ذلك بوجه أقل.

أما الشخصية العملية فهى تعتمد على الحواس وما تراه وتلمسه أمامها ، دون لجوء إلى دنيا الباطن والحس الداخلى (الصوفى) أو ما يسمى بالحدس. والشخصية التى تتمتع بحس باطنى قوى نجدها لا تركن الى المذبهات الحسية ولا إلى دنيا الواقع بل تستغرق فى أعماقها الداخلية.

وتتجاذب النفس هذه القوى الأربعة:

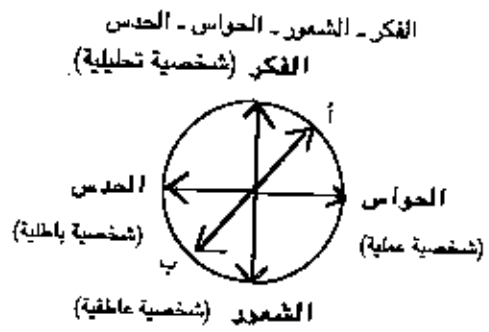

ومرة أخرى يلاحظ يونج أن فى معظم الحالات عدا فى حالات الشخصية شديدة التوازن تكون قوة أحد المكونات على حساب ضعف المكون العكسى . فالمفكر ليس عاطفياً بدرجة كافية والصوفى ليس عملياً بدرجة كافية وهلم جرا.

نقول هذا للتبسيط ، ولكن الغالب أن الشخص يمزج دائماً بين صفتين إحداهما من المستوى الأفقى والأخرى من المستوى الرأسى، فيكون مفكراً عملياً مثل (أ) أو عاطفياً باطنياً مثل (ب) . ونحن فى غنى عن توضيح أهمية نظرية يونج فى فهم وتحليل أنماط الشخصيات التى تقابلنا كل يوم. وسوف نقصر جهدنا على ملاحظات ألبورت عن البعد الإيمانى للشخصيات على إختلاف أنواعها.

يرى ألبورت إن نمط التدين يتشكل بنمط الشخصية من إنطواء وإنبساط تفكير عميق أو عاطفة جياشة، حدس أو حس مفرط. فالفرد يجد فى الدين ـ ضمن مايجد ـ إما تعبيراً عن مواطن القوة فى شخصية أو محاولة تعويض عن مواطن النقص عنده ، مما يساعده على التوازن والتكامل مع نفسه ـ فالعاطفى يجد فى الله أو محبة الآخرين شبعاً لعواطفه ، كما يجد فى الدين قوة تساعده على تحقيق التوازن الإنفعالى فى شخصيته ، فلا يفرط فى الغضب أو يستغرق فى الحب بطريقة خاطئة

وغالباً ما يجد الحسى متعته فى العمل والعطاء ، ويملأ الدنيا نشاطاً وحركة، أما الصوفى النزعة فيجد لحظات التأمل والصلاة أكثر الخبرات الدينية صدقاً وثراءً. وهلم دواليك حتى يخال إليك أن هناك أنماطاً من التدين بعدد البشر المتدينين أنفسهم ، والله فى محبته يقبل الجميع ويتعامل مع الكل ويحتضن الظاهرة البشرية ، لأن محبته تحصر وتشمل وتتدفق على الجميع.

والبشر يسعون فى سبيل البحث عن الله،

مستخدمين الطريق الذى يجدونه أكثر مناسبة لشخصيتهم ، فهناك من يبحث عن الله بفكره أو بعاطفته أو بخدمته أو بتأملاته . والغريب أنه بينما يقبل الله الجميع يناقض ويعارض البشر بعضهم البعض وكأن طريقتهم فى التعبير عن التدين هى الوحيدة المثلى أو القانونية.

نامية فى الفضيلة ، كما قد ينحرف الفتى لتعرضه لنفس المشاكل العائلية. وإذا كان الجو الحضارى فى مدينة ما يوحى بالحرية ، أو فى قرية ما يوحى بالتزمت فقد يستخدم البعض هذا المناخ أو ذاك للنمو فى النشاط الدينى الإيمانى أو على العكس يكون هذا المناخ عقبة فى طريق هذا النمو.

رابعاً - يتأثر النمو الإيماني بفلسفة الإنسان الشخصيه :

لا يتطابق فكران بشريان. فإذا أعطى توأمان مشكلة عقلية ما ، فإن إستجابتهما تأتى مختلفة فى الغالب . ويعزى هذا إلى إختلاف «تفسير» كل منهما للمعلومات التى تشكل أجزاء المشكلة. ويرى «ألبورت» أن قضايا الدين العظمى مثل الأسئلة حول الحياة والموت والخير والشر تجد لها إجابات مختلفة عند البشر بإختلاف وجهة نظرهم وفلسفتهم الخاصة التى بها ينظرون إلى الأشياء.

خامساً - يتأثر النمو الإيماني بالبيئة:

فالوسط الذى يعتبر دافعاً للإيمان عند شخص قد يكون عند شخص آخر معطلاً له. ولنعط مثالاً لذلك: إذا كان هناك أب سكير له إبن وإبنة، فقد تنشأ الإبنة محافظة مدققة لتعادل سمعة أبوها الشريرة،متحررة من الخطأ

دراسات كيجان Kegan على معنى الحياة :

عرضنا حتى الآن لأبحاث علماء مشاهير مثل مازلو والبورت، ويقى أن نعرض فى عجالة لأحدى المقولات التى أدلى بها عالم آخر من علماء الإرتقاء أو النمو البنائى Stuctural development الذى يتبع نفس طريقة بياجيه وكولبرج وفاولر فى وصف الكائن البشرى بوصفه كائناً متطوراً بطبيعته، سواء ساعدته البيئة أو عطلته عن النمو.

وهذا العالم هو روبرت كيجان Robert Kegan ١٩٨٢ . ويذهب كيجان إلى أن النمو عبارة عن عملية متصلة من البحث عن المعنى meaning – making . والمعنى عند كيجان يجمع بين الفكر والعاطفة ويوجدهما، بل يُعتبر المصدر الخلاق لكليهما. والمعنى يجمع الفرد وما حوله Subject and object، فالإنسان أساساً كائن يبحث عن معنى وجوده، وفى أثناء رحلة البحث عن

المعنى يتميز الشخص عن الجماعة، وفى عملية التمايز deferentiation أو الإنفصال هذه يخلق الإثنين (الآخرين - وأنا) كما تخلق العلاقة بينهما . وفى هذه العلاقة تتضامن الأنا مع الآخرين مرة أخرى ، فهى علاقة تكامل Integration ويمكن التعبير عنها كالآتى:

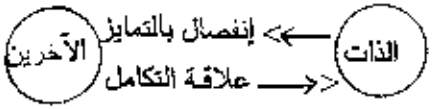

هذا الإتزان عملية تنمو مع الاثنين، وما النضوج فى نظره إلا عملية تمايز وتحديد للذات عن العالم المحيط . هذا التمايز ليس فيه انفصال لأن معه علاقة تربط الذات بالعالم ، دون أن تكون مغروسة فيه أو ذائبة كل الذوبان.

وهكذا أعتبر كيجان النضوج مختلفا عن الإستقلالية، فالشخص الناضج استطاع تكوين مفهوم راسخ عن الذات يكفيه لتخطى الخوف من الألفة. فبعد أن يصل البالغ إلى مستوى التحديد الكافي للذات ، فإنه يكوّن علاقات ناضجة مع آخرين ناضجين مثله دون خوف من الذوبان أو الإضمحلال. فالشخص الناضج يدخل فى علاقة مع الآخر دون أن يكون محتاجاً للآخر سواء لحمايته أو لتكوين ذاته.

فإن كان الناضج يستطيع أن يحيا بمعزل عن الآخرين، إلا أنه يرضى بأن يضحى بجزء من حريته ويدخل فى علاقة يشارك فيها الآخر ، ويأتمنه على مشاعره وأفكاره العميقة.

وفى مرحلة النضوج تنشأ الألفة - فصداقات ما قبل النضوج تهدف أساساً لإستكشاف الذات أو تقويتها أما الألفة فهى مبنية على عطاء حقيقى للذوات الناضجة .

وتعلق أستاذة الدراسات الدينية ، جوان كون ، Joan Conn بجامعات بنسلفانيا بأمريكا على هذه النظريات تعليقات شيقة، فهى ترى أن العلاقة بالله تحتاج إلى نفس مستوى النضوج، فالشخص الخائف من الحب والإقتراب إلى الآخر لايستطيع أن يسلم حياته لله بصفته الآخر المطلق، ولهذا فإن درجة من النضوج السيكولوجى مطلوبة للنمو الإيمانى، على أساس أننا إن كنا لانستطيع أن نحب الإنسان الذى نراه فنحن لانستطيع أن نحب الله الذى لانراه (١يو٤:٢٠) فمحبة الأفراد إذن (معمل) للتدريب على الإقتراب من الله.

خطوات الإيمان بحسب نظرية جون ويشر هوف

يرى جون ويشـرهوف Jhon Westerhof ١٩٨٠ أسـتاذ اللاهوت بجـامعـة دوق Duke بأمريكا أن الإيمان يمر مرحل أو خطوات يمكن تشبيهها بخطوات نمو الشجرة، وذلك بإضافة حلقات جديدة تزيد من قوة البناء مع الاحتفاظ بالمكاسب السابقة.

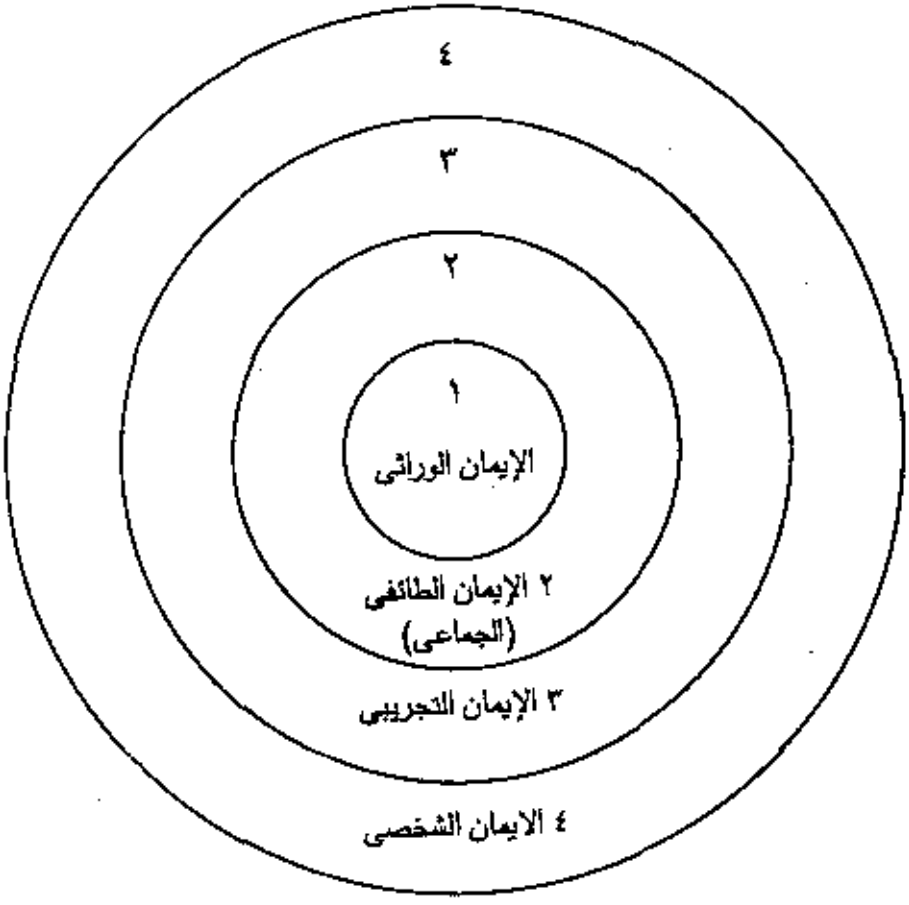

١ ـ الإيمان الوراثي:هو المشاعر والعقائد التى أخذناها من الأهل.

٢ ـ الإيمان الطائفي أو الجـمـاعي:وهو مجموعة القيم والعقائد التي تبناها الجماعة التي انضم إليها وأصبح عضواً عاملاً فيها.

٣ ـ الإيمان التجريبى أو الاختبارى:وهى مرحلة تساؤل وصراع وأحياناً شك وتجريب.

٤ ـ الإيمان الشـخـصي:تزول بعض التساؤلات وإن كان البحث الإيجابى والتعمق يزداد ويصبح الإيمان إقتناعاً شخصياً بالقيم والمبادىء وأخلاقيا لها.

من الإيمان التلقائي إلى الإيمان الجماعي

دراسات جيمس فاولر في النمو الإيماني

قضى علماء الإرتقاء شوطاً طويلاً في تحليل النمو البشري في مجالاته المختلفة: النفسي والعقلي والإجتماعي والأخلاقي . ولاشك أن النمو الروحي والإيماني هو الهدف الأعلى للنضوج البشري في علاقته العلوية مع الله والآخرين والكون، ولهذا تخصص عالم آخر لهذه القضية هو جيمس فاولر الذي سنعرض لأبحاثه في الجزء المتبقي من هذا الكتاب.

وجيمس فاولر James Fowler راعي كنيسة المثال (المثوديست) في نورث كارولينا بأمريكا، حصل على عدة شهادات، ثم درجة الدكتوراة من جامعة هارفرد ، كبرى جامعات أمريكا، وهويدرس حالياً اللاهوت والنمو الإيماني في جامعة أموري بأمريكا، كما يرأس مركزاً لأبحاث النمو الإيماني أنشيء خصيصاً لدراسة هذا الجانب الهام من جوانب النمو.

وقد تعرضنا في بداية هذا الفصل إلى تعريف فاولر للإيمان بصفته علاقة بالمطلق تشمل كل جوانب الحياة وتؤثر فيها، وبقي أن نعرض الآن لجسم نظرية فاولر في النمو الإيماني ، علها تلقى ضوءاً على ممارستنا الحالية للإيمان والتربية الدينية.

ومثل كل علماء النمو ، يرى فاولر أن النمو يتم في مراحل متلاحقة ، لايصل الشخص إلى إحداها دون المرور لفترة تقصر أو تطول على المراحل الأخرى. ومراحل النمو الايماني عند فاولر تمر بستة مستويات غير مرتبطة بالعمر الزمني ، وإن كانت تتطلب بعض النضوج العقلي للتخلص من التصورات الطفولية عن الله والدين . وفي الجدول التالي ملخص للمراحل الستة، يعقبها وصف مفصل لهذه المراحل .

ملخص نظرية فاولر فى مراحل النمو الإيمانى

م	أسم المرحلة	السن المتوقع	الصورة عن الله فيها	سمات الإيمان
١	**الإيمان التلقائي الإسقاطى أو الذاتى أو الخيالى** (الدين كإطار أو صيغة أو شكل أو نمط أو أسلوب) .	١ - ٦ سنوات	* إحساس غيبى(خرافى)بقوة كونية مبهمة خارقة للطبيعة - انفعال باطنى ملئ بإسقاطات الطفل وتصوراته عن أماله ومخاوفه . * الله موجود فى الطبيعة وفى كل مكان يستطيع أن يمتد (ماديا) إلى أى مكان ، وهو طيب القلب (إذا كان الطفل قد تربى فى بيئة محبة) ، ولكنه يميل إلى العقاب والشدة (إذا تربى الطفل فى بيئة مليئة بالخلافات)	* هو إيمان مبنى على الإحساس المبهم أكثر منه على الفكر أو العقيدة . * صور خيالية تشبه الأساطير وقصص ما قبل الدوم ، ولهذا سمى بالايمان الإسقاطى . * يعى الطفل ذاته فقط ، فالأشياء خلقت لأجله ، والقمر يتبعه حين يمشى ، ولهذا سمى الإيمان الذاتى
٢	**الإيمان الأسطورى** الحرفى (الدين كقصة) .	٦ - ١٢ وقد يستمر فى فترة المراهقة أو الرشد	* صورة بشرية لكائن يشبه الإنسان ولكنه أكبر وأقوى يسكن فى بيت فوق السحاب وينفخ فى الرياح ويتحدث بقوة وسلطان . * تحيط بصورة الله مجموعة من التصورات والمشاعر الدينية المرتبطة بالأمل والخوف والثقة والمسؤلية الأدبية .	* يتبنى الشخص القصص والمعتقدات والممارسات والطقوس التى تشير إلى إنتمائه إلى الجماعة أو الكنيسة ، وتميزه عمن هم خارجها . * لا يحاول الشخص إستخراج القيم من القصص التى تحويها . * بداية الخروج من الذات

تابع . ملخص نظرية فاولر فى مراحل النمو الإيمانى

م	أسم المرحلة	السن المتوقع	الصورة عن الله فيها	سمات الإيمان
				وتكوين علاقة بالآخر تساعد الفتى على الوصول إلى العلاقة الشخصية مع الله فى المستقبل .
٣	الإيمان التقليدى التكاملى (الدين كسلطة) .	١٢ ـ ١٧ قد تبدأ مؤخراً أو تستمر إلى منتصف العمر .	* يتصور الشاب الله فى شكل ملك جالس على عرش فى المجد ، يحكم بالعدل وحوله ملائكة وأرواح القديسين والأموات .	* محاولة لتكوين القيم والمبادئ الشخصية ، متأثراً بعقائد الجماعة ولكن محاولاً نقدها وإستيعابها داخلياً . فهو إيمان تقليدى لأن فيه إمتثال لرأى الجماعة ، وهو تكاملى لأن فيه التوفيق بين الآراء الشخصية ورأى الجماعة .
٤	الايمان التأملى الشخصى (الدين كثبات المفاهيم) .	ما بعد المراهقة إلى بداية النضوج وقد تبقى حتى الأربعين	* الله روح وهو خير بطبعه . الله محبة . * وهو صديق شخصى وراع صالح .	* إقتناع شخصى لا يمثل هنا رأى الجماعة بل الخبرة الفردية . يكون الفرد جماعة توافقه على آرائه . * إيمان موضوعى عقلانى فيه الإهتمام بالمثل العليا والمبادئ المطلقة . وإستخراج المغزى وراء الرموز والممارسات والطقوس . تطرف فى إختيار طرفى النقيض مثلاً (الشك) أو(الغيرة والحماس الزائد).

م	أسم المرحلة	السن المتوقع	الصورة عن الله فيها	سمات الإيمان
٥	الإيمان الذى يجمع المتناقضات (الدين كطريق الصليب) .	قليلون من الناس فى مرحلة منتصف العمر.	* يرى المؤمن الله فى معاناة البشر . * يفهم التعارض : مثل فكرة الثالوث فى الوحدة ، أو القوة فى الضعف والصليب ، كذلك فكرة لماذا يتألم الناس رغم عدالة الله .	* عوده مرة أخرى إلى البساطة دون إحتياج للنقد أو التحليل العقلى . تجميع للمتناقضات . * قبول للمختلفين عنه أيديولوجياً دون تخل عن معتقداته ـ تصالح بين منفعة الآخرين والمنفعة الشخصية . * قبول للغموض وفهم السر بالإحساس الباطنى أكثر من العقل .
٦	الإيمان الكلى و شامل (الدين كبساطة الحكمة) .	نسبة أقل من البالغين	* الشعور بوجود الله فى كل مواقف الحياة، كقوة خير عليا ووعى كونى يدبر ويرعى الكل ، ويسير بالكون بحسب القصد الإلهى فى إتجاه الخير نحو غاية الكمال والتجلى .	* بساطة الحكمة وملء الإنسانية . * الشعور الكونى بوحدة الأشياء . * الإنتماء للخير الأعظم وليس لطائفة أو جماعة أو نظام إجتماعى . * حب البشرية جميعاً والوحدة مهما اختلفت ديانات البشر ومعتقداتهم .

وصف لمراحل الايمان بحسب فاولر:

المرحلة الأولي

أ ـ الإيمان التلقائي :

(الإيمان الإسقاطي) الإيمان الذاتي ـ الإيمان الخيالي

(الدين كإطار أو صيغة او شكل او نمط او اسلوب) من ٢ـ٦ سنوات.

في هذه المرحلة يتأثر الطفل أساساً بإيمان الكبار وخاصة الوالدين والأقارب ، ويقلد سلوكهم ويحذو حذوهم . ويكون الإيمان في هذه المرحلة «خيالياً» غنياً بالتصورات التي تشبه قصص ما قبل النوم والروايات الخرافية ، كما يكون غير محدد أو خاضع للمنطق العقلي. والإيمان في هذه المرحلة مثل التفكير يأتي متأثراً بالحواس، ومنتجاً للعديد من الصور والأحاسيس بغزارة. هذه الأحاسيس سلبية كانت أو إيجابية ستخضع فيما بعد لشيء من التصنيف والتقييم الذاتي والتنسيق وإعادة الصياغة.

ويبدأ في هذه المرحلة وعي الطفل بذاته بدون قدرة على الوعي بمشاعر الآخرين ووجهة نظرهم . ولهذا أسماه «فاولر» بالإيمان الإسقاطي (projection) لأن فيه يرى الشخص وجهة نظره الذاتية فقط.

كما تظهر في هذه المرحلة بوادر الوعي بالموت والجنس ، وهما مجالان شديدا التأثير على الإنسان . وهنا تبدأ البيئة والأسرة في وضع القيود والمحرمات التي تحد من تعرض الطفل المبكر لهذه المجالات وعزله عنها بصورة مبدئية .ولايخفى أن إيمان الطفل في هذه المرحلة يكون تلقائيا مبنياً على الحدس والإنفعال الباطني Intuitions مليء بإسقاطات الطفل وخياله وتصوره لما هو مقدس أو خارق للطبيعة أو روحي .

مثال ذلك ، يتصور الطفل الذي يعيش في بيت مليء بالخلافات أن الله رجل عجوز في السماء يضرب الأشرار . وذلك بعكس طفل آخر يعيش في منزل مليء بالأمل ، فهو يكوّن صورة لله تشبه «بابا نويل» الذي يرسل العطايا للذين يسلكون في الخير.

وفي هذه المرحلة يتعلم الطفل الدين بالتسليم أكثر من التلقين، ويكون أسلوب الكبار واتجاهاتهم ونمط حياتهم هو مصدر الإيمان عنده.

فبدون أن يدري يتقمص الطفل شخصية الكبار ، ويوحد نفسه بهم ، ويعتنق مبادءهم وأفكاره .

وكوعاء فارغ يكون الطفل مستعداً للإمتلاء بكل ما يصر الكبار على صبه في داخله.

وبهذه الطريقة اللاشعورية يبدأ الطفل في التعامل مع الله ، إما بأن يثق فيه ويعتمد عليه ويلجأ إليه عند الحاجه ، أو بأن يخاف منه

فيتحاشاه ويتقى شره .

ولهذا سميت هذه المرحلة تسميات عديدة، كالإيمان التلقائى ، أو الإيمان الذاتى ، الذى يكون فيه الإيمان أسلوب حياة أو إطار أو نمط ينتقل من الوالدين إلى الأبناء.

المرحلة الثانية

الايمان الاسطورى ـ الحرفى

(الدين كقصة) (من سن ٦ ـ ١٢ سنة) وقد يستمر فى فترة المراهقة أو الرشد. فى هذه المرحلة يتبنى الطفل أو الفتى القصص والمعتقدات والممارسات والطقوس التى تشير إلى إنتمائه إلى الجماعة ، وتميزه عمن هم خارجها. ويكون الإيمان فى هذه المرحلة متأثراً بمرحلة التفكير العينى - Concret Operation حسب بياجيه، وقد بدأ الشخص فى إستيعاب تسلسل زمنى فى قصة أو أحداث ذات معنى دينى، ويكون فهم الفتى أو المراهق لهذه القصص فهما حرفياً. وهو لايحاول أن يستخلص المفاهيم النظرية أو المبادىء المتضمنة فى هذه القصص، بل تأتى المفاهيم متعلقة بهذه القصص من داخلها. وحين يستمع الفتى إلى قصص متناقضة مثل (التطور أم الخلق) التى تحتوى على صراع بين القيم ، فإنه يبدأ فى التوفيق بينها لأجل مزيد من الفهم . أما صورة الله عنده فتنتقل من الإحساس المبهم بما هو خارق للطبيعة أو غيبى ، إلى صورة تشبه صورة الإنسان Anthropomorphic وكأن الله شخص كبير قادر على كل شىء، تحيط به مجموعة من التصورات والمشاعر الدينية، مرتبطة بالأمل والمخاوف والثقة والمسئولية الأدبية .

وتدريجياً يتخلص الفتى من مركزية الأنا ويبدأ فى أن يرى وجهة نظر الآخرين، ويعى مفاهيمهم ويتبنى مواقفهم،.وهذا الخروج من الذات الذى يعقبه زيادة فى التفاعل بين الشخص والآخر يساعد الفرد على تكوين علاقة شخصية متطورة مع الآخر المطلق (الله) .

وقد سمى «فاولر» هذه المرحلة من الإيمان «الإيمان التقليدى» فهو تقليدى لأن فيه امتثال لأصحاب السلطة ، وهو تكاملى (Synthetic) ، لأن فيه يقوم الفرد بالتوفيق بين القيم المتعارضة.

ومجرد الإمتثال للسلطة لايعد سهلاً ، لأن السلطات المختلفة فى المجتمع الواحد لاتتفق مع بعضها البعض، فما يقوله الساسة يختلف عما يقوله المربون أو رجال الدين أو الوالدان أو نجوم السينما والرياضة .

ويقوم المؤمن بالتوليف بين القيم المتعارضة بطريقتين :

الأولى (الأزدواجية) والثانية (الترتيب

الهرمى) للقيم . أما الإزدواجية فهى أن يسلك الشخص فى وقت ، أو مع جماعة ما بقيم يختلف عن سلوكه فى وقت آخر أومع جماعة أخرى . كأن نرى أحد رجال الأعمال الجشعين الحريص على الكسب المادى فى العمل بكل الطرق ، نراه كريماً فى العطاء فى الكنيسة،لأن هذا ما يتوقعه المجتمع الكنسى أو ما يحثه عليه الوعاظ.كذلك نرى شخصاً قد يسلك فى منزله سلوكاً عنيفاً ، وفى عمله تجده رقيقاً لأن هذا هو الدور المتوقع منه إن كان طبيباً أو مضيفاً أو بائعاً مثلاً.

أما الطريقة الثانية للتوليف بين القيم المتعارضة فهى (الترتيب الهرمى للقيم) . وفيها يعتبر الشخص قيمةالأسرة أو الأصدقاء أو قوانين العمل فى مرتبة أعلى من القيم الأخرى ، ويحاول إخضاع تلك القيم للمبادىء التى يعتبرها أعلى أو أجل . وقد تأتى القيم الدينية فى قمة الأولويات أو فى منتصفها أو فى أسفلها . ولكن الخلاصة أن الشخص يكون مجموعة من العقائد تعد من نسيجه الخاص.

المرحلة الثالثة

الإيمان التقليدى أو التكاملى:

(الدين كسلطة)

(من سن ١١ ـ ١٧ سنة)

ولكنه قد يبدأ مؤخراً ويستمر لفترة أطول ، والبعض يظهر خصائص هذه المرحلة حتى منتصف العمر أو الكهولة.وتمتد علاقات الشاب فى هذه المرحلة إلى ما خارج الأسرة فى دوائر متعددة : الزملاء، المدرسة، العمل ، الجيران ، المجتمع والكنيسة.

وينشغل المؤمن بالتوفيق بين الإيمان من ناحية والعديد من المجالات المختلفة فى الحياة التى يتعرض إليها . ويكون عليه مهمة التوفيق بين الإيمان وبين الأيديولوجيات الأخرى.

وتكون مهمة الإيمان هنا تحديد هوية الشخص «من أنا؟»ونظرته للعالم «أين أنا؟»

والمؤمن هنا يتأثر بمواقف الآخرين ومعتقداتهم ، ويمتثل لتقاليد الجماعة ، ولكنه يحاول أيضاً تكوين قيمة الشخصية . وهو قد لا يعى ذلك تمام الوعى ، ولكنه يشعر به داخلياً. ويساعده فى ذلك نمو القدرة على التأمل النظرى أو التجريد فى مرحلة التفكير النظرى (بياچيه) التى تساعده على تكوين مجموعة من المفاهيم دون أن يختبرها موضوعياً أو ينقدها نقداً عميقاً . فهو يحاول الإمتثال لقيم الجماعة ، وتبنى الأدوار المقبولة لدى أصحاب السلطة والمؤثرين على قيم المجتمع .

المرحلة الرابعة

الإيمان المتأمل الشخصي:

(الحب كإثبات للمفاهيم)

ما بعد المراهقة إلى بداية النضوج

في هذه المرحلة ينضج مستوى المؤمن حتى يصل إلى الإيمان الإختباري الفردي، فيصبح إيمانه ليس مجرد عقيدة وراثية وإنما إقتناع شخصي . كما يبدأ في حمل المسئوليات التي تمليها عليه مثله ، ويتقبل تبعات هذا الإيمان في حياته ومواقفه وسلوكه، فهي إذاً مرحلة إلتزام وإستبطان وفهم واع. لذلك نرى أن الإيمان هنا لايمثل عقيدة الجماعة والإنتماء إلى الآخرين . بقدر ما هو إقتناع فردي ناتج عن إختبار شخصي. إذ يبدأ الشخص في تكوين أرائه الشخصية ونظرته للعالم بطريقة متميزة عن الآخرين . فتأتي أحكامه وردود فعله معبرة عن إيمانه الشخصي.وليس معنى هذا أن ينفصل الشخص تماماً عن الجماعة ولكننا نجده يختار لنفسه جماعات جديدة،توافقه في المثل وفي فلسفة الحياة ، وتعبر بطريقة منظورة عما يحدث في داخله من تغيير . ويمتاز الشخص في هذه المرحلة بالموضوعية،وإعادة تقييم معطيات الإيمان عن طريق التأمل.

كما يبدأ فيه الشخص في الإنسلاخ التدريجي عن ذاته في محاولة لخدمة الآخرين والإنشغال بمشاكلهم.

كذلك نجده يبدأ في الإهتمام بالمثل العليا والمبادىء المطلقة ، معتبراً الأمور الأخرى نسبية. كما يبدأ في تطوير مفاهيمه الطفولية وتصوراته الصنمية والخرافية للمجال الروحي والديني ، الى مجموعة من التصورات أكثر واقعية وعقلانية ، مستخرجاً المغزى المستتر وراء الرموز والممارسات . كذلك يدرك المؤمن في هذه المرحلة المتناقضات التي تجعله يفهم الحياة بطريقة أكثر تعقيداً وإتساعاً. كل هذه التغيرات قد تحدث نوعاً من التداخل والتفكير الداخلي العميق الناتج من إعادة صياغة المفاهيم ، يصحبها الملل من السطحية وإهتزاز القيم وعدم رضائه عن تصوراته الطفولية . وهذه كلها علامات إيجابية تدل على رغبته في التغيير والتقدم وليس عجباً أن البعض يصل إلى هذه المرحلة فوق الثلاثين أو الأربعين من عمره ، وقد يستمر فيها بعد ذلك دون أن يتخطاها. كما نجد المؤمن في هذه المرحلة يصارع بين القيم المتعارضة دون أن يستطيع بعد التوفيق بينها. فنجده يختار دائماً أحد طرفي النقيض على حساب الطرف الآخر، مما يظهره بمظهر الحماسة الزائدة أو المبالغة التي تميز الشباب الصاعد.

المرحلة الخامسة

مرحلة الإيمان الذي يجمع المتناقضات:
(الإيمان الشـــامل) (الدين طريق الصليب)

مرحلة منتصف العمر

الذين يصلون إلى هذه المرحلة الإيمانية قليلون ، وهم يمتازون بقدرتهم على العودة مرة أخرى إلى البساطة. فقد كانت المرحلة السابقة مرحلة تحليل وفحص عقلي ، أما هذه المرحلة فهي مرحلة ما بعد التحليل حيث يستطيع المؤمن التجميع والتركيب للعديد من الأفكار والتقاليد والتعبيرات الدينية التي قد تبدو متناقضة .

وفي المرحلة السابقة (المرحلة الرابعة) رأينا كيف يستبعد المراهق من هم مختلفين عنه في الفكر أو الأيدلوجيـــة ، ولكن مع منتصف العمر يبدأ المؤمن في قبول وجهات النظر الأخرى دون التضحية بآرائه الشخصية، ويعتبرها معقولة بالنسبة لأصحابها حتى لو لم يوافق هو عليها شخصياً. ولايخفى ما في هذا من إتساع أفق ، لايصل إليه المؤمن قبل الثلاثين من عمره،حين تكون خبراته في الحياة متسعة بما فيه الكفاية لتتقبل وجهات النظر الأخرى ، ويبدأ المؤمن في التخلص النهائي من التمركز حول الذات الجماعية. فهو لايريد الخير والعدالة لمجموعته الدينية أو طائفته فقط ، بل للبشرية جميعها بصرف النظر عن معتقداتها أودرجاتها أو الفروق بينها.

وليس معنى هذا أن المؤمن يتبنى فكرة اللاتحدد أو النسبية المطلقة ، كأن يقول أن كل الأديان صحيحة أو كل الأديان مقبولة. فعلى العكس من هذا فهو في هذه المرحلة يزداد تمسكاً بما وصل إليه من عقائد ومفاهيم إيمانية . ولكن ما نعنيه هنا أن المؤمن أصبح منفتحاً للحقائق الأخرى الجديدة الموجودة ولو جزئياً لدى الآخرين ، مما يجعل إيمانه ناضجاً لأنه بحث عن الحق إينما كان،وتنقية للشوائب التي تحدث بسبب الممارسة الخاطئة أو الإنغلاقية.

وهناك متناقضات أخرى يستطيع المؤمن في هذه المرحلة أن يصالحها ويوفق بينها. فهو لم يعد ينظر إلى مصلحته الشخصية أو مصلحة الآخرين على أنهما طريقان متعارضان ينبغي التضحية بأحدهما على حساب الآخر . فخير الآخرين يسعده ويرضيه كأنه خيره الخاص . ويستطيع المؤمن في هذه المرحلة أن يحيا مع المفاهيم غير المحددة والغامضة التي تفهم بالإحساس الباطني أكثر من العقل كما يستوعب التعارض الظاهري بين المفاهيم . ويمكن للمؤمن أنه يعيد تذوق الرموز والطقوس التي كان يحللها عقلياً في

المرحلة السابقة ليفهم المعنى الذى يكمن وراءها ولكنه الآن يستطيع أن يتعامل معها ببساطة ، بما فيها من جمال وتعبير قيم ، وعمق وإمكانيات متجددة. وينطبق عليه قول بولس الرسول «تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم» فتغير الذهن هنا يحدث بسبب العودة إلى بساطة ما بعد التحليل (Post criitical) وإستيعاب الحق بطريقة كلية .

وهناك ملاحظة أخيرة أدلى بها «فاولر» وهى أن الذين يصلون بسرعة إلى هذه المرحلة هم الذين قاسوا المعاناة والخسارة، وتحملوا المسئولية والفشل. فالتجارب تزيد المؤمن خبرة لتجعله يتقبل مفاهيما متسعة للحياة بحلوها ومرّها.

ولذلك تسمى هذه المرحلة أحياناً «بطريق الصليب» لأن الصليب هو الذى يجمع المتناقضات ويوحدها. وفيه الصراع الداخلى بين الرغبة فى الفضيلة والضعف البشرى، وهذا الصراع هو الذى يولد المفهوم الواقعى عن الذات بدون زخارف و رتوش .

المرحلة السادسة

مرحلة الإيمان الكلى أو الجامع :

(الدين كبساطة الحكمة)

الذين يصلون إلى هذه المرحلة يتناقص عددهم عن مؤمنى المرحلة السابقه فهم يصلون إلى بساطة الحكمة وملء الإنسانية والشعور الكونى بوحدة الأشياء ، والإحساس بقوة عليا تسيطر على الكون ، وتحوله فى إتجاه الخير ، نحو التجلى . وعند هؤلاء لم يصبح النظام الإجتماعى أو السياسى أو الأيدولوجى أو حتى الدينى موضوع إنتمائهم الأول، فهم يركزون على الخير الأسمى بمعناه البسيط ، وكأنهم دخلوا بالفعل فى ملكوت السموات، حيث الوحدة مع الله والآخرين والخليقة . أما وحدتهم مع الآخرين فهى ليست مجرد شعارات لفظية ، فإنتماؤهم أصبح للجنس البشرى ككل مهما إختلف مستواهم الإيمانى أو ديانتهم.

وكثيراً ما يكون هؤلاء الأشخاص منتقدين أو مهملين، لما يبدو عليهم من بساطة زائدة بل لقد إستشهد بعضهم على يد من أحبوهم. ولا نقدم دليلاً على ذلك من حياة الرب يسوع واستفانوس ، ومارتن لوثر كينج محرر الزنوج ، ومهاتما غاندى والأم تريزا وداج هامرشولد ، وغيرهم من الشهداء والمعاصرين الذين إلتزموا بقضية الخير والحب للجميع كأسلوب حياةواقعية ، وليس غريباً أن يكون هؤلاء سابقين لعصورهم، فإيمانهم نموذج أعلى يوبخ محدوديتنا وإيماننا التقليدى المتجمد ومفهومنا الضيق للعدالة والمحبة الشاملة.

أسئلة للمراجعة

١، عـــرف :

* الإيمان علاقة .
* الإيمان التقليدى .

٢، لخـــص :

* صفات الإيمان الناضج .
* فصولاً من كتاب سلم الفضائل ليوحنا الدرجى ، أو كتاب أصول الحياة الروحية ، (دير مارجرجس الحرف) مبيناً عرض الأدب الرهبانى لمراحل النمو الإيمانى والروحى .

٣، علـــــق :

* على مدى إقتناعك بمراحل الإيمان الستة حسب فاولر ومدى إنطباقها على الواقع الكنسى .

٤، طبـــــق :

* الإحتياجات النفسية للإنسان بحسب نظرية مازلو على خدمة الفقراء .
* كيف يتنقـــل فتى إعـــدادى من المرحـلة الثالثة (الإيمان التقليدى) إلى المرحـــلة الرابعة (الإيمان الإختيارى) ، حسب مشاهداتك فى خدمة الفتيان .

٥، اختر الاجابة الصحيحة :

* يصبح إيمان الفرد ناتجاً عن إقتناعه الخاص وليس مجرد عقيدة وراثية فى مرحلة :

( ) الإيمان الذى يجمع المتناقضات .
( ) الإيمان الكلى.
( ) الإيمان التلقائى .
( ) الإيمان التأملى الشخصى .

* يستطيع الفرد الوصول إلى الإيمان الذى يجمع المتناقضات بعد مرحلة التفكير النظرى عند بياجيه .

( ) صـــواب .
( ) خطـــأ .

الفصل الرابع

ويدوم ثمركم

تطبيقات عملية على النمو الايماني

الإيمان هو شغل الكنيسة الشاغل، فإن لم تكن تدرس الإيمان فنحن نعطى مفاهيم جوفاء أو عادات روتينية. ولكن هل يمكن تدريس الإيمان؟ وهل يمكن تحويله إلى منهج دراسى إختبارى؟ هذا هو موضوع هذا الفصل التطبيقى.

هذا الفصل يناقش

صورة شخصية

(كنت أعمى والآن أبصر)

فكر معنا

تطبيقات على التربية المسيحية

١ ـ قبول الأنماط المختلفة للتدين.

٢ ـ المفاهيم الروحية بين الشرق والغرب.

٣ ـ حوار الطوائف المسيحية مع بعضها البعض.

٤ ـ الحوار بين الأديان .

٥ ـ مساعده الفرد على تجاوز التصورات الصنمية عن الله.

٦ ـ تهيئة البيئة المناسبة للنمو الإيمانى .

٧ ـ خطوات نحو تربية مسيحية متكاملة.

خلاصة .

أسئلة للمراجعة .

صورة شخصية

كنت أعمى والآن أبصر

حين إنفتحت عيناى، كنت أنظر حولى بلهفة، بينما يخفق قلبى بشدة، وأنا أرى لأول مرة أشياء كثيرة كنت أتحسسها، ولكننى لم أكن فى الوقت الحاضر شغوفاً برؤيتها. نعم هذه الألوان الجميلة «لابد أن هذه هى الزهور، ولابد لى أن أبحث عن زوجتى لأرى وجهها ، ولكن ما يهمنى الآن هو أن أرى ذلك الشخص العجيب ... ذو الصوت الرائع... وأتفحص ملامحه البديعة دون أن ألتفت بوجهى يميناً أو يساراً ... أريد أن أرى يسوع.

- أتؤمن بإبن الله ؟

- من هو يا سيد لأؤمن به .

- قد رأيته والذى يكلمك هو هو .

- نعم ياسيد أؤمن أؤمن ... لقد كنت أعمى والآن أبصر . لقد كنت أبْصر والآن أؤمن.

لقد آمنت،والآن أشهد لمبصرين عميان، وعميان يؤمنون بالطريق والحق والحياة.

فكر معنا

+ قارن بين نوع التدين الشائع عند بعض الطوائف المسيحية : الكاثوليكية ـ الأرثوذكسية ـ البروتستانتية. أذكر أوجه الخلاف والتشابه في الممارسات.

+ قارن إيمان إبراهيم أبو الآباء ، أو إيمان الشهداء ، بالإيمان في العصر الحديث . هل تظن أنه من الممكن الوصول إلى درجات عليا من الإيمان حالياً؟

هذا الفصل فصل تطبيقي نود فيه إشراك القارىء والدارس لهذا الكتاب في عملية إستخراج التطبيقات العملية لنظرية فاولر واللوبورت في النمو الإيماني ومقارنتها بتراثنا الكنسي، من أجل تطويع مبادىء علم الأخلاق للروحيات، والإفادة من الأبحاث كأداة لتوصيل حقائق الإيمان، بل توصيل الناس إلى ملكوت السموات. وذلك بتهيئة البيئة المناسبة للنمو الإيماني بصفته قمة النمو الإنساني. فهذا الجزء إذاً هو أهم أجزاء الكتاب الذي بين يديك.

رغم أهمية نظرية فاولر إلا أنها لاتعد نظرية تربوية أو منهجاً للتربية الكنسية، إذ أنها تعتبر أساساً ملاحظات دقيقة وشيقة عن مراحل نمو الإنسان فى الإيمان، ولهذا فهى تحتاج منا إلى وقفة تأمل ، فى محاولة لتطبيق هذه المفاهيم على واقعنا الكنسى.

ونستطيع أن نقسم التطبيقات والفوائد المستخلصة من نظريات النمو الإيمانى فى إتجاهين هامين. نسمى الأول «الإتجاه الأفقى» والثانى الإتجاه الرأسى».

أولاً «الإتجاه الأفقى»:

يسعى نحو تفهم الآخرين فى مختلف خبراتهم الدينية رغم تنوعها.

ثانياً « الإتجاه الرأسى»:

وهو يمتد إلى أعلى ليعلو بالفرد فى درجات الإيمان ، وإلى أسفل ليعمق الخبرة الروحية الباطنية .

وسوف نناقش فى الصفحات القليلة القادمة تطبيقات تختص بالنظرة المتسعة نحو الآخرين وهى :

١ ـ قبول الأنماط المختلفة للتدين.

٢ ـ المفاهيم الروحية بين الشرق والغرب .

٣ ـ حوار الطوائف المسيحية مع بعضها البعض.

٤ ـ الحوار بين الأديان.

وفى مجال النمو الداخلى نناقش:

٥ ـ مساعدة الفرد على تجاوز التصورات الصنمية عن الله.

٦ ـ تهيئة البيئة المناسبة للنمو الإيمانى.

٧ ـ خطوات نحو تربية مسيحية متكاملة.

أ ـ قبول الأنماط المختلفة للتدين :

أوضح فاولر فى نظريته أن هناك عدة طرق للتعبير عن الإيمان تختلف من فرد إلى آخر حسب تربيته وشخصيته وأفكاره ومستواه الروحى، وبالتالى يصبح لدينا نفس العدد من أنماط التدين بعدد البشر ، إذ أن التدين هو طريق المؤمن للتعبير عن إيمانه. لهذا كان من الطبيعى أن يختلف الناس فى نمط التدين، ولكن هذا الإختلاف لايعنى أن هناك نمطاً صائباً وبقية الأنماط خاطئة، فالله يحب الجميع «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل إبنه الوحيد لكى لايهلك(كل)من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو٣:١٦)

والمهم عند الله أنه «يريد رحمة لاذبيحة» (مت ١٢:٨) مهما إختلفت طريقة التعبير عن هذه الرحمة، فالمهم هو الرحمة، ويقصد بها الشعور الدينى نحو الآخرين وليس الممارسات الخارجية. والقديس يوحنا، الذى رأى رجلاً يخرج

شياطين باسم المسيح ومنعه لأنه لايتبع مع التلاميذ،أوضح بموقفه هذا رأى السيد المسيح ممن يختلف معنا فى نمط التدين، وقد أتضح ذلك بقوله له المجد «لاتمنعوه لأن من ليس علينا فهو معنا» (لو ٩:٤٩ ـ ٥٠) فالله يريد أن الجميع يؤمنون وإلى معرفة الحق يقبلون».

لهذا قاد روح الله فيلبس ليلتقى بالخصى الحبشى (أع ٨:٢٦ـ٤٠) لكى يلمس طريقة تدينه ومعرفته بالله، ليس هذا فقط بل يحبه يساعده على تجاوز هذا النمط المختلف إلى ما هو أكمل وأنضج على الطريق الحياة الروحية.

هكذا يعلمنا ملاحظة أن نمط التدين عند القروى يختلف عن نمط التدين عند الحضرى، وإيمان المرأة مختلف عن إيمان الرجل، وتدين الطفل البسيط مختلف عن تدين الشيخ المختبر، وليس من الصواب أن نقف متخاصمين ومتشددين ومتهمين بعضنا بعضاً، بل الواجب علينا أن نقدر الفروق الفردية بيننا، ونساعد بعضنا البعض لنتجاوز الحدود الضيقة التى من صنع البشر وتفكيرهم إلى ما هو أعمق وأقرب إلى فكر الله وتدبيره لخلاص جنس البشر.

٢ ـ المفاهيم الروحية بين الشرق والغرب :

جاء الخلاف بين الشرق والغرب بسبب الإنقسام الذى حدث فى الكنيسة فى القرن الخامس والحادى عشر والسادس عشر. وكان نتيجة لذلك أن نمت كل كنيسة فى معزل عن الكنيسة الأخرى. وبالتالى خسر الغرب روحانية الشرق ونسكه وتراثه وخبرته الروحية، أما الشرق فقد خسر الإجتهاد والدراسة والتحليل والمناخ المسيحى الذى يتميز به الغرب.

وأصبح الغرب فى الوقت الحالى يهتم بالدراسة والتحليل والنظريات، مخضعاً الإيمان للدراسة، أما الشرق فهو يهرب من التطور والنقد والدراسة ويبارك التمسك بالتقاليد والروحانية الداخلية.

والمطلوب هو عودة الروح المسكونية إلى الكنيسة،فتصير بالحقيقة كنيسة واحدة جامعة رسولية، تجمع بين دراسات الغرب وبين خبرة الشرق الروحية.

٣ ـ قبول الطوائف الأخرى :

التعصب للرأى الشخصى ورفض الرأى الآخر يخلق نوعاً من الطائفية والتقوقع حول الذات. ومن يلجأ إلى هذا السلوك بغض النظر عن رسالة السيد المسيح الذى مات ليوصلها للعالم كله، حتى الذين رفضوه وصلبوه أيضاً.

والطائفية والتعصب تجعل الإنسان يلجأ إلى الدفاع عن طائفته دون الإهتمام

بخلاص الطوائف الأخرى التى يختلف معهم. ويتضح ذلك من موقف يعقوب ويوحنا اللذين طلبا من الرب أن يصليا أن تنزل نار من السماء فتفنى قرية السامريين التى رفضت أن تقبل السيد المسيح، ولكن رد المسيح جاء مخيباً لآمالهم، نافضاً عن نفسه تهمته رفض الطائفة التى رفضته. والسيد المسيح أراد أن يجعلنا نحذو حذوه حين قال ليعقوب ويوحنا منتهراً إياهما: «لستما تعلمان من أى روح أنتما، لأن إبن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلص» (لو ٩: ٥١-٥٥)

وما نراه الآن من تناحر الطوائف فيما بينها، يعد خروجاً عن رأى الإنجيل والسيد المسيح بخصوص الطائفية، فكل طائفة الآن تعتقد أن طريقة الطائفة الأخرى غير مناسبة وغير قانونية، بل ويعامل أفرادها كهراطقة خارجين عن الإيمان.

والحقيقة أن كل طائفة تركز على عناصر فى الحياة الروحية تختلف عن تلك التى تركز عليها الطوائف الأخرى. فالبروتستانتية تركز على الإختبار الروحى والتأمل العقلى، والأرثوذكسية تركز على التعبيرات الطقسية، خاصة فى العبادة، لممارسة الإيمان بشكل ليتورجى واحتفالى يشرك معه،لا العقل فقط بل والحواس أيضاً. فهى تناسب طائفة أعم من البشر كما تناسب الأطفال والبسطاء.

أما الكاثوليكية فهى تهتم بالإيمان العملى والخدمة الإجتماعية والنظام والإنضباط والطاعة، وهو نوع من الإنتماء للجماعة وللكنيسة كنظام كلى. وليس معنى هذا أن الطوائف المختلفة لاتؤمن بالإنجيل أو المسيح أو الخلاص، إنما تختلف نسبة التركيز على العناصر المختلفة للإيمان. والمشكلة أن هذه الطوائف لاتقبل بعضها البعض فى بعض الأحيان، وتتشدد كل نحو الأخرى رافضةً إياها، متجاهلين قول السيد المسيح نفسه «من يقبل إلىّ لا أخرجه خارجاً»، ونستطيع أن نشبه هذا الإختلاف بعجلة القيادة للسيارة أو المركب، وهى تتكون من دائرة تدعمها عوارض قطرية، وكل منا يقف فى نقطة ما عند قطر الدائرة بعيداً نسبياً عن زميله، ولكن إذا تعمق كل منا - مهما كانت طائفته - فى إيمانه الخاص، فإنه يدخل إلى مركز الدائرة وهو الله، وحينئذ يصبح البشر متقاربين، بل متحدين فى المسيح، دون أن يترك أحدهم تقليده الخاص أو طريقته فى العبادة أو التدين.

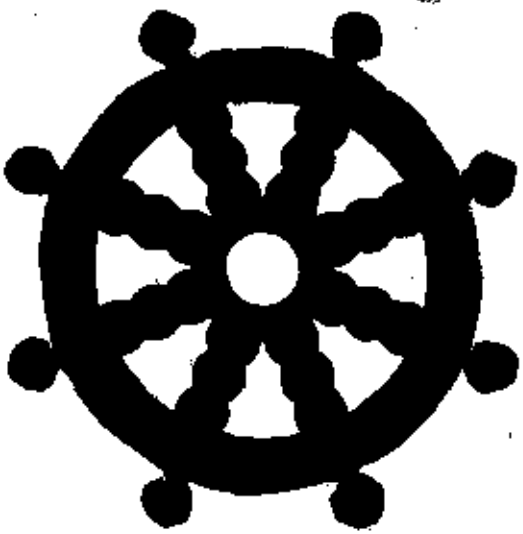

٤ ـ الحوار بين الأديان

على الرغم من أن المسيحى واليهودى والمسلم والهندوسى يمارسون العبادة والصوم والتأمل وفعل الرحمة بطرق مختلفة، إلا أن هناك عاملاً مشتركاً بينهم هو الفضيلة، والرغبة فى السمو بالأخلاق، والإيمان بقوة عظمى تحكم الكون. ولكن العجيب أن قادة الأديان لاينظرون إلى ما بينهم من تشابه بل يركزون على الإختلاف، ومن هنا ينشأ العداء بين الأديان.

ونحن لاننادى بأن يتلاشى التمايز بين الأديان ، ولكننا ننادى بنوع من الحوار الهادىء البناء،الذى يوجد نوعاً من السلام بين الناس ، فتنقضى الحروب التى دارت رحاها قروناً طويلة دون نهاية بسبب الخلاف بين الأديان فى بقاع كثيرة من الأرض. والسيد المسيح أعطانا مثالاً لهذا الحوار فى مواقف كثيرة منها :

١ ـ حواره مع المرأة الكنعانية الوارد فى (مت ١٥: ٢١ ـ ٢٨) والذى إنتهى بأن قال لها السيد المسيح «يا إمرأة عظيم إيمانك. ليكن لك كما تريدين ، فشفيت إبنتها فى تلك الساعة.»

٢ ـ حواره مع أحد الكتبة حول الوصية الأولى بين الوصايا (مر ١٢: ٢٨ـ٣٤) الذى إنتهى بتعليق رقيق للسيد المسيح يوضح كم كان الحوار مثمراً ،فلما رآه يسوع أنه أجاب بتعقل قال له: لست بعيداً عن ملكوت الله"(مر ١٢: ٣٤)

٣ ـ حواره مع قائد المئة الذى شفى له غلامه (مت ٨: ١٠ـ١٢) وقد مدح السيد المسيح قائد المئة قائلا: «لم أجد ولا فى إسرائيل إيماناً بمقدار هذا.»

هكذا كان يفعل السيد المسيح، يحاور الجميع فى حب وتفاهم وقلب مفتوح، يسمح بإنضمام الكثيرين إلى الملكوت ، بعد أن آمنوا به نتيجة حواره معهم، وقلبه المتسع لهم.

٥ ـ مساعدة الفرد على تجاوز التصورات الخاطئة عن الله

رأينا أن فاولر يذهب إلى أن الإيمان الناجح لابد أن يخرج من الأنماط التقليدية والقوالب المتعارف عليها الموروثة من الأسلاف. هذه الأنماط التى أدت فى النهاية إلى ظهور أمراض روحية كالفريسية والناموسية والسطحية وغيرها .

والدراسة المتأنية لفاولر تساعدنا ليس فقط على تشخيص النقص بل أنها أيضاً توضح لنا كيف نساعد الفرد على التخلص من الحرفية الموروثة التى تضفى على الله صوره صنمية وأنثروبولوجية ، تصور الله فى شكل إنسان كبير ذو لحية بيضاء يمد

يده فيشق البحر،ولاشك أن هذه الصورة الصنمية تتأثر بالبيئة وبالتراث الموروث من المجتمع. ففى المجتمع الأفريقى نرى صورة الصليوت تُظهر السيد المسيح أسود ذو ملامح أفريقية،والأقزام يصورون السيد المسيح قزماً مثلهم،والقبائل البدائية التى اعتنقت المسيحية تؤدى صلواتها بطريقة قريبة بعض الشئ من طريقة تقديم الصلوات للأوثان،التى كان يؤدونها قبل معرفة السيد المسيح .

وقد أوضح لنا فاولر فى نظريته كيفية قبول الفرد كما هو ، والتعامل معه على أنه طبيعى ، بالرغم من إختلافه معنا فى نمط التدين ، لأن هذا فقط هو الخطوة الأولى والهامة فى مساعدته على تجاوز تصوراته الصنمية عن الله ، والإنطلاق إلى الإيمان الإختبارى الذى يسمو فوق التصورات الحسية . أما الخطوة الثانية فتكون بتطوير هذه المفاهيم لنعطيه مفاهيم المرحلة الأعلى بحسب جدول فاولر حتى لايحدث تثبيت على التصورات الطفولية عن الله حتى من متقدم .

٦ ـ تهيئة البيئة المناسبة للنمو الإيماني

يوضح فاولر أن النمو الإيمانى يكون مواكباً وموازياً للنمو العقلى والنمو الأخلاقى . لهذا لايمكن أن نعتبر أن النمو الإيمانى هو مسئولية دور العبادة فقط ، بل هو واجب كل الهيئات والمحيطات التى تهتم بالتربية فى المجتمع بأسره . ويمكن تلخيص الدور الذى تقوم به هذه الدوائر لجعل البيئة مناسبة للنمو الإيمانى كما يلى :

أ ـ دور الأسرة :

١ ـ تقديم القدوة الصالحة .

٢ ـ شرح الأمور الإيمانية بطريقة روحية وغير حرفية . فالصوم ليس هو الإمتناع عن الأكل ولكن الصوم معناه التوبة والنسك .

٣ ـ الإهتمام بالعبادة العائلية فى المنزل والكنيسة .

٤ ـ عدم السخرية من الأولاد الذين يظهرون نوعاً من الحماس أو حتى المغالاة فى العواطف نحو الله .

٥ ـ الإهتمام بإجابة أسئلة الأولاد مع تقديم مفاهيم صائبة مستنيرة .

ب ـ دور الكنيسة :

١ ـ نزع التعصب والطائفية .

٢ ـ ممارسة الجهاد الروحى بصورته الإيجابية .

١ ـ الاهتمام بالتنوير والثقافة بجوار الإهتمام بالروحيات .

٤ ـ تنمية الإختبارات الإيمانية الحية لدى المؤمنين .

٥ ـ الإهتمام بإجتماعات الصلاة ودروس الإنجيل بالإضافة إلى شرح اللتورجيات لتدعيم النمو الإيمانى المستنير.

ج ـ دور الدولة :

١ ـ مقاومة الإلحاد .

٢ ـ رفض التعصب بكل صوره .

٣ ـ تدعيم العدل والحرية والإخاء والمساواة بين المواطنين .

٤ ـ مراعاة الجانب الدينى فى كل الممارسات الدستورية والإجتماعية والثقافية .

٥ ـ الإهتمام بالتعليم بحيث يخلق شخصية أخلاقية مفكرة وواعية.

٧ ـ خطوات نحو تنوبية كنسية متكاملة :

أوضحت لنا نظرية فاولر أن مستوى النمو الإيمانى عند الفرد يكون مختلفاً باختلاف الفرد ذاته، لهذا أصبح لدينا عدد لاحصر له من الأنماط الإيمانية عند الناس. وأصبحت مهمة الكنيسة التى تتعامل مع الجميع بحب وحرص على خلاص النفس، صعبة جداً. لهذا فالكنيسة تحتاج إلى أدوات مناسبة (بالإضافة إلى الأدوات الخلاصية التى لا يمكن الإستغناء عنها وأهمها الكتاب المقدس والحياة الكنسية) لكى تكون قادرة على مخاطبة كل العقول وكل الأفكار وكل الأنماط الإيمانية المختلفة .

لهذا رأينا أن نضع تصوراً مبدئياً ربما يساعد خدام الكنيسة وقادتها على القيام بأعبائهم نحو خدمة الإنسان وخلاصه :

أ ـ برامج التربية الكنسية

يجب أن نراجع البرامج الموجودة بين أيدينا فى الوقت الحالى، ونستفيد بالمناسب منها مع إستبعاد غير المناسب. كما يجب أن نضع دروساً تناسب عقليات أبناء هذا الجيل وتشبع تفكيرهم الحالى ، فنجد مداخل مناسبة لدروس مدارس الأحد . ومن المهم أن يأتى المنهج مناقشاً لمشاكلهم الحقيقية ومعبراً عن إحتياجهم الفعلى .

وينبغى أن يلاحظ واضع المنهج أن الإنسان ليس روحاً فقط ، بل هو روح وجسد ونفس وعقل، وهو فرد يحيا فى

مجتمع ، وأن هذه جميعها تعمل كوحدة وظيفية واحدة داخل الإنسان .

وأنه إذا إختل واحد من هذه الجوانب إختل الإنسان كله . لهذا من الواجب أن نجعله يهتم بجوانب حياته بأكملها ونشجعه على ذلك حتى يخرج لنا أجيالاً من الأبناء يتمتعون بشخصية روحية ناضجة ومتكاملة .

كما أنه من المفيد أن يراعى واضعوا المنهج الموضوعات الهامة لكل مرحلة من العمر ونفسية هذه المرحلة بالإضافة إلى النمط الإيمانى السائد على أفراد هذه المرحلة بحسب نظرية فاولر فيقدموا لهم درجة (واحدة) أعلى من درجات الإيمان، دون قفزات أو ركود «سقيتكم لبناً لا طعاماً» (١كو ٣: ١١).

ب ـ خدام الكنيسة

خدام الكنيسة هم قادة الفكر فيها. والقائمون على تنفيذ وصايا السيد المسيح عملياً أمام أبنائنا فى مدارس الأحد. لهذا فمن المهم أن نولى إعداد الخدام إهتماماً بالغاً، فندقق فى إختيار شخصية الخادم تدقيقاً شديداً ، فيجب أن يكون للخادم شركة حقيقية مع الله حتى يستطيع أن ينقل خبراته الإيمانية الناضجة إلى أولاده عن طريق التلمذة الحقيقية. ويقودهم من مراحل الإيمان البدائى (التلقائى) إلى مرحلة الإيمان الناضج (مرحلة الإيمان الجامع).

ولكن هذا ليس كافياً، فالمفروض أن يكون الخادم سليماً نفسياً، مثقفاً، واعياً، ومستنيراً، محباً لمجتمعه وللخدمة . وخلاصة الأمر أن الكنيسة يجب أن تقدم لأبنائها نماذجاً من الخدام المشهود لهم فى الكنيسة، والناجحين فى كل مجالات الحياة وليس فقط فى مجال الممارسات الروحية. ويقع العبء فى هذا على إجتماعات الخدام وإعداد الخدام بالكنيسة . فيجب أن نهتم بالبرامج التى تدرس فى هذه الإجتماعات وطريقة تقديمها. كما يجب أن يدقق القائمون على الخدمة فى نوعية الخدام الجدد الذين يختارونهم لحمل مسئولية خدمة أولادنا وتربيتهم التربية المسيحية الحسنة، ويسلحونهم بالمهارات اللازمة لقيادة مسيرة الإيمان، فالمناهج المتطورة تحتاج إلى خدام متطورين واعين مدربين.

ج ـ أماكن فصول مدارس الأحد :

المكان الذى تقدم فيه دروس مدارس الأحد هام جداً ، وهو يلعب دوراً هاماً فى وصول الأهداف المطلوبة للمخدوم، فلابد له أن يكون مكاناً :

١ ـ هادئاً لأن الضوضاء تجعل الأولاد يفقدون تركيزهم وسلامهم.

٢ ـ مريحاً : فالمكان المريح يجعل الإنسان مسترخياً وقادراً على إستيعاب ما يقدم له، ولكن ليس مريحاً بزيادة حتى لايدام الأولاد فى أماكنهم .

٣ ـ الإضاءة والتهوية : يجب أن تكون مناسبة .

٤ ـ الكراسى وشكل الجلسة :هام جداً بحيث يرى الأولاد خادمهم بوضوح وهو يرى كل واحد منهم. ومن الأفضل أن يرى الأولاد بعضهم بعضاً .

٥ ـ مثير للتفكير : فتوجد مثلاً مراكز الأنشطة وحجرات الرسم والكتابة، وكافة الإمكانيات التى تشجع الإبداع والحوار والتعبير عن الخبرات.

خدمة مدارس الأحد أن الحوار من أهم الطرق وأنجحها على الإطلاق فى تحقيق الأهداف. فهو يكسر الملل ويشرك المتلقى فيزيد تركيزه،كما أنه يخرج المخدومين من خجلهم وتوقعتهم حول أنفسهم ، بالإضافة إلى أنه وسيلة معبرة وصادقة لمعرفة مايدور داخل الدارسين فى الفصل نحو الموضوع المطروح ، فالحوار إذاً وسيلة للتعليم وكذلك فإنه أيضاً وسيلة للتعبير ، فكلما إستطاع المخدومون التعبير عن إيمانهم وشكوكهم وأسئلتهم ومشاكلهم الشخصية ذادهم هذا إنفتاحاً ونمواً وتعمقاً .

٤ ـ الوسائل التعليمية :

هامة جداً فى توصيل الأهداف المطلوبة إلى المخدومين، لهذا يجب على الخادم أن يبدع كل أسبوع فى إلقاء درسه ، مستخدماً مواهبه الطبيعية، والوسائل التعليمية التى يمكن أن تتوفر له فى كنيسته وبيئته المحلية.

هـ ـ طريقة إلقاء الدرس :

أثبتت الدراسة أن عملية التلقين المباشر غير ناجحة تماماً فى التعليم. لهذا فكلما ابتعدنا عن التلقين والوعظ المباشر كلما تم توصيل المطلوب بنجاح.

وقد أثبتت الدراسات والخبرة العملية فى

أسئلة للمراجعة

***عـــرف**

التصورات الصنمية والأنثروبولوجية عن الله.

***علـــق**

على الحوار بين الطوائف، ما هو حادث وما يجب أن يكون .

***لخـــص**

الخطوات التى يمكن أن تؤدى إلى تربية كنسية ناجحة ـ أضف عليها رأيك الخاص .

***طبـــق**

الشروط الواجب توافرها فى مكان القاء الدرس على فصلك الخاص فى مدارس الأحد .

أختر الإجابة الصحيحة

برامج التربية الكنسية يجب أن تتوافر فيها الشروط الآتية ماعدا :

١ ـ تناسب عقلية الجيل.

٢ ـ تركز على الجانب الإيمانى فقط.

٣ ـ لها مداخل مناسبة بالإضافة إلى المدخل الإيمانى.

٤ ـ تعبر عن إحتياجات المخدومين.

صلاة

ربـه الحبيـب

ما أعجب تلك النفس البشرية
التى خلقتها !
إنها مليئة بالأسرار
كما تمتلئ سماؤك بالنجوم
وبالغيوم ،
يشع فيها النور
ويصارعها الظلام ،
أحياناً تنطلق إلى الأمام
فى رحلة الحياه
وأحياناً أخرى تتوقف
بلا نمو أو حراك ،
قد تدفعها القوى المتصارعة ،
وتشدها القيم العليا ،
وقد تلعب بها الأهواء،
ولكن حلم الخلود لا يفارقها ،
الحب يهديها إليك
وإن لم تبلغ بعد تمام الإدراك .
وأنت من سمائك ..
تتطلع إليها
وترنو بحنوك نحوها
تجتذبها إليك ،
وتعرفها ذاتك ،
وتساعدها على السلوك
بحسب ما عرفته منك ،
وعنك ..
إنها لا تقوم إلا بك ،
ولا تحيا إلا بنورك ،
لأنك خلقتها متجهة نحوك
ولن تجد راحتها ..
إلا فيك .

آمـين

حضـــن الآب

كتب تربوية للمؤلف

(تصدر تباعاً) تطلب من كنيسة مارمينا بشبرا

ت : ٢٣٥٩٤٠١ ومن أسقفية الشباب الأنبا رويس

---

١. من يجدنى؟	أساليب التربية المسيحية
٢. رحلة الحياة	النمو النفسى والإجتماعى عند الإنسان
	مراحل النمو من المهد إلى الشيخوخة.
٣. بناء الإنسان	الذكاء والإبداع والذاكرة وسنوات العمر
٤. نمو الضمير	مراحل النمو الإيمانى والأخلاقى
٥. إزرعوا الحب	سيكلوجية مراحل النمو.
٦. خذ بيدى	١٠ خطوات عملية للتربية المسيحية
	(للخدام وأولياء الأمور).
	مع الدكتورة ميرفت نجيب قزمان.
٧. من يفهمنى؟	من أجل فهم أعمق للشباب (من ١٣ ـ ١٨ سنة)
٨. القصة فى التربية المسيحية	
٩. الكلمة فى التربية المسيحية	٧٥ طريقة للوعظ والتدريس اللفظى.
١٠. إلقوا شباككم	الوسائل التعليمية فى التربية المسيحية
	(طرق أخرى بصرية وعملية)
١١. من يسمعنى؟	المهارات الأساسية للإرشاد وحل المشكلات.
١٢. صناعة الأجيال	التربية عند الرب يسوع والآب.

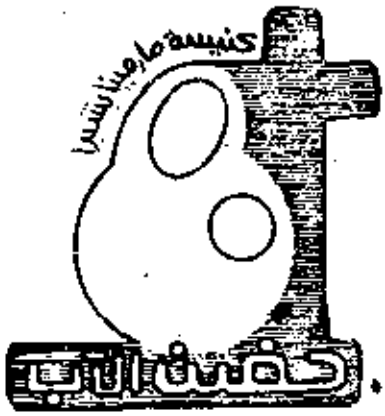

هذه السلسلة

+ هى مجموعة تربوية تهدف إلى تنشئة شخصية مسيحية معاصرة.
+ تخاطب الطفل والشاب وأيضاً المربى لهؤلاء.
+ وذلك بالكتاب والصورة واللعبة ووسيلة الإيضاح وشرائط التسجيل والفيلم.
+ تصدرها كنيسة مارمينا بشبرا وهى ترحب بكل إقتراح ومساعدة فى هذا المجال.

هذا الكتاب

+ يختص هذا الكتاب بدراسة الجزء الأعلى من الإنسان :

سلوكه وضميره، وحسه الأخلاقى، وإيمانه.

+ فهو دراسة للإنسان كصورة الله ومثاله وهذه الصورة تجدها مشدودة للأصل مرتبطة به فى نمو تصاعدى، حتى يدرك الإنسان ملء قامة الله.
+ فيه تجد شرحاً لمراحل نمو الأخلاق ونشأة الضمير والتدرج الإيمانى مع مجوعة من التدريبات العملية تفيد الخدام والمربين.
+ يصلح هذا الكتاب كمرشد لأولياء الأمور وكدليل للدورات التدريبية للخدام وإعداد الخدام.